تحت التغطية

دار الكنزي للنشر والتوزيع

الكنزي
ALKANZY

رئيس مجلس الإدارة
محمد صلاح شديد

المدير العام
إيناس الدسوقي

مدير الإنتاج
أحمد عبد الحليم

مدير النشر
مهند يحى

الكتاب : تحت التغطية
تأليف : هدير السيد
تصنيف الكتاب : رواية
إخراج : أحمد عبد الحليم
المقاس ١٤ × ٢٠
رقم الإيداع : ٢٥٧٠٦ / ٢٠١٩
الترقيم الدولي : 978 - 977 - 6660 - 57 - 1

All Rights Reserved
Alkanzy for Publishing and Distribution
+01062104822
Alkanzy.co@gmail.com
info@alkanzy.net

محفوظة جميع الحقوق

تحت التغطية

رواية

هدير السيد

إهداء

إلى ذلك الأفق البعيد الذي يحمل قبسًا من ضياء لمن أرَّقته طويلاً ظلمة اليأس.

إلى عائلتي، أبواي، إخوتي، أبنائي وزوجي العزيز ورفيق دربي.

إلى صديقاتي المقرَّبات اللاتي لولا دعمهنَّ لما وصلت لهنا

إلى صديقتي وتوأم روحي جهاد.

إلى أخي وصديقي العزيز أحمد حسن.

إلى قارئاتي الحبيبات ومصدر قوتي.

أهدي أوَّل أعمالي الورقية.

***

المقدِّمة

أحكمت كلا قبضتيها على مقود سيارتها، توزع نظراتها الثاقبة هنا وهناك، لطالما آمنت بحدسها العملي أو الأنثوي هي لا تعرف أو أن صح القول لا تهتم، فكل ما يعنيها اليوم هو ذلك الشعور المقبض الذي يؤرقها منذ الساعات الأولى للنهار ... تنبهت كل حواسها عندما التقطت عيناها إحدى السيارات المتوقفة على جانب الطريق، لم يكن ذلك ما أثار ارتيابها، ولكن نظرات راكبيها اللذان يتابعان الموكب باهتمام، وضعت يدها على سماعة أذنها، وسيلتها السريعة للتواصل مع باقي أفراد الطاقم عندما التقطت عيناها سيارة أخرى مريبة متوقفة في نهاية الطريق ... تطالبهم بالتوقف وتغيير المسار لاشتباهها في إحدى السيارات، وقبل أن يأتيها الرد دوَّى فجأة صوت انفجار قوي جعلها توقف سيارتها بصرير مزعج متسعة العينين، تتابع بفاه مفروغ عن آخره سيارات الموكب الأمامية تتطاير مشتعلة في الهواء، ورغم السحابة الدخانية التي بدأت تتجمع

في الهواء إلا أنها لاحظت إسراع باقي أفراد الطاقم بالترجل عن السيارات الخلفية، صوت صرير عجلات إحدى السيارات جعل أناملها التي كانت على مقبض الباب تتوقف فجأة وهي تلتفت بحدة في اتجاه مصدر الصوت وبدون تفكير أعادت تشغيل محرك سيارتها، دارت بها بمهارة نصف استدارة لتتحرك بسرعة في الاتجاه المعاكس لاحقة بتلك السيارة التي تنهب الطريق أمامها وهي تصرخ على باقي الطاقم ليلحقوا بها، مطاردة غير متكافئة بالنظر لسيارتها الحديثة انتهت بضغطها على الفرامل فجأة عندما قطعت الطريق أمام سيارة المشتبه بهم، فتحت باب سيارتها بسرعة وهي تسحب سلاحها لتضرب طلقتين على العجلات الأمامية بينما تجثو على إحدى ركبتيها خلف النافذة المفتوحة لسيارتها، ثم أمرت بنبرة صارمة الركاب بالترجل عن السيارة، نزل الرجلان وهما يرفعان أيديهم في الهواء، ثم ما لبثا أن تبادلا النظرات الساخرة فيما بينهما وبحركة مباغتة سحبا أسلحتهم لتبدأ عملية تبادل إطلاق النيران، لحظات قليلة انتهت بوصول التعزيزات التي كانت أكثر من كافية لحصارهم وإجبارهم على الاستسلام.

مهمة شاقة قد لا تليق بفتاة، فتاة اختارت وبكامل إرادتها أن تعمل تحت التغطية

***

الفصل الأول

(الحياة خيارات، وخيارات الماضي هي ما تحدد الحاضر وترسم المستقبل، العقل يرجو، والنفس تهفو، أمَّا الأفعال فوحدها الملامة بتبعاتها، وعليك وحدك اتخاذ القرار، فأي جانب ستستمر في اتخاذه عندما يمحى الخط الفاصل ما بين الرشد والغي)

***

جلست على الفراش الوثير الذي يتوسط الغرفة الفخمة التي دلفتها للتو، دون أن تلقي بالًا بمحيطها الذي لو كانت أخرى غيرها لتدلى فكها من روعته، فمنذ متى وفخامة الأشياء من حولها تبهرها وهي التي اعتادت رغد العيش و رقي المقتنيات طوال سنوات عمرها.

استندت بكفيها على الفراش بجوارها بشرود، تفكر في حالها وما وصلت إليه، لطالما كانت فتاة قوية، جريئة، مثابرة، فأين هي الآن

من كل ذلك، هل ودعت صفاتها التي كانت تتفاخر بها دوماً بمجرد وصولها مطار إسطنبول، هل فقدت الفتاة التي كانتها بفقدها لمعلمها وداعمها الأوحد، نعم تعترف أن قرار العودة لبلد والدتها وإخوتها الغير أشقاء كان قراراً بالغ الصعوبة، ولكن كيف لها أن تبقى في القاهرة وقد فقدت كل شئ، جدها الحبيب، عملها الذي كان شغفها وهاجسها، هويتها وما نشأت عليه ... علاقتها المهترئة بوالدها الذي تخجل منه الأبوة لم تكن لتشجعها على البقاء، حتى علاقتها بصديقة طفولتها ورفيقة دربها لم تكن سبباً كافياً لإقناعها بالبقاء تحت سماء واحدة مع ذلك المدعو أسفاً بوالدها ... أغمضت عينيها وهي تزفر بخفوت، قلبها يؤلمها لذكرى جدها الحبيب ... تُرى هل كان ليوافقها على زيجة كتلك !!

ذلك الرجل المهيب الذي احتضنها صغيرة بعد طلاق والديها وعودة والدتها بعد إلحاح من جدتها لمسقط رأسها بإحدى القرى التركية، لتبقى ريماس ذات الثلاثة أعوام برفقة كل من جدها ومربيتها التي أحضرها خصيصاً لأجلها، أسرتها الوحيدة إلا من زيارات متقطعة عندما شب عودها بصحبته وصديقتها سديم لإسطنبول، وماذا كانت تنتظر وهي نتاج زواج سريع ومتهور بين والديها أسفر عن طفلة وحيدة وانتهى بطلاق أسرع ...

ماذا كانت لتفعل بعد أن قضى جدها نحبه تاركًا لها وحيدة، ناقمة وهي تشعر بغربة جديدة عليها في وطنها، غربة دفعتها لترك كل شئ خلفها بعد إصرار جدتها لولدتها، لتعود محملة بخيبتها وفقدها منتوية الاستقرار والعمل بشهادتها الجامعية بعد أن سيطر والدها على أغلب إرثها بطرقه الملتوية، ولكن ما لم تكن لتتوقعه أبداً هو أن ينتهي بها المطاف جالسة في منزل رجل غريب تماماً عنها وقد أتما عقد نكاحهما منذ ساعات في قريته والتي هي قرية عائلتها كذلك، زيجة أرغمت عليها وقلصت هي خسائرها بصفقتها السرية مع ذلك المسمى بزوجها والذي تراه فقط للمرة الثالثة !!!!

***

- «ماذا ؟»

صرخت بها نارين وهي تحدق بذهول في وجه باريش، تدقق النظر في ملامحه المتغضنة، والتي تؤكد لها بما لا يدع مجالًا للشك أنه يحاول ابتلاع صدمته هو الآخر، ولكن كيف ؟ ولماذا؟ ... هل خبر كذاك يتم إعلانه بتلك الطريقة اللامبالية، عبر الأثير، ولمن، لأصدقائه المقرّبين !! هل فقد فرات عقله!! ومن تلك التي جعلته ينقلب رأساً على عقب بتلك الطريقة بين ليلة وضحاها، لقد كان معهم منذ أسبوع واحد فقط قبل سفره لبلدته نزولاً عن رغبة والده ولم يأتي على ذكر ذلك الموضوع...

لا لا بالتأكيد هناك خطأ ما، ربما يمزح، ولكن هل هناك من يمزح في مثل تلك الأمور، عقلها لا يستسيغ الفكرة، أي جنون دفعه للقيام بخطوة متهورة كتلك، لم تعهده متهوراً من قبل .... ليس بتلك الطريقة على أية حال.

- «ما الذي تقوله باريش، عن أي زواج تتحدث، وماذا عن كاميلا ؟ أتعلم بفعلته ؟»

أفاقت من شرودها على تساؤل كرم الذي لا يقل صدمة عن كلاهما، عادت بنظراتها نحو باريش الذي أطرق برأسه بقلة حيلة، هو نفسه عاجز على ما يبدو عن فهم صديقه الذي تبدل حاله منذ عاد من سفره متأبطاً ذراع تلك المتأنقة التي تعرف عليها خلال سنوات عمله بالخارج، الرسامة الإيطالية التي تشاركه منزله في أسطنبول، ماذا ستفعل تلك أيضاً عندما تعلم ما أقدم عليه في غيابها، ألم يفكر في رد فعلها هي الأخرى ... سمعته يزفر بانزعاج وهو يغرز أنامله في شعيراته البنية القصيرة محركاً رأسه نفياً بشرود ،،،،،

- « لا تسألاني فأنا مثلكما لا أفهم شيئاً مما يفعله فرات في الفترة الأخيرة، فرات المتمرد الذي أعرفه لم يكن ليرضخ لأمر كذاك من الأساس، أمر لطالما نبذه، بل وكان أحد أسباب ابتعاده عن بلدته وسفره للعمل في الخارج».

تبادل كل من نارين وكرم النظرات الوجلة فيما بينهما لتتنهد نارين باستسلام وهي تتحرك مقتربة منه لتربت على كتفه مؤازرة، ربما كان ثلاثتهم أصدقائه الآن، ولكن علاقته بباريش مختلفة، ولو كانت تشعر بالخيانة من مفاجآته لهم بتلك الطريقة، فماذا إذا عن باريش، زميل دراسته، صديقه الذي حال علمه بعودته من سفرته الطويلة لإيطاليا كاد أن يطير فرحاً وهو يخبرهم بأن صديقه المقرب والذي أصبح الآن روائي شهير له اسمه ومعجبيه سيعود لأرض الوطن أخيراً ليفتتح دار نشر خاصة به، بل وطلب منها كما كرم ترك العمل في الجريدة التي يعملون بها لدعم صديقه في مشروعه الجديد، والذي أصبح صديقهم المقرب كذلك فيما بعد، عام واحد فقط في الدار الذي كان بالنسبة لهم في البداية مجرد خلاصاً من تعنت صاحب الجريدة ليصبح الآن بمثابة منزل العائلة لهم، أغمضت عينيها وهي تحرك رأسها بإشفاق، ثم همست لنفسها بعد زفرة حارة من أعماقها ،،،

- «ما الذي فعلته بنفسك فرات !!! فليعينك الله عندما تعود كاميلا من سفرتها»

- «حسناً يا رفاق فلنترك الأمر إذن لحين عودته فربما لديه تفسير منطقي»

قالها كرم ببساطة وقد أزعجته حالة التوتر التي انتشرت في الأجواء، خاصة وهو يوشك على سحب تلك الغبية التي تلف ذراعها الآن حول كتف باريش بمؤازرة جعلت الدماء تغلي في عروقه، عشقه الممنوع الذي لا يعلم سبيلاً للخلاص منه، سره الصغير الذي أخفاه في صدره خشية من خسارتها، خاصة وانها لم تبدي إهتماماً به يفوق اهتمامها بباريش منذ عملوا سويًّا في الجريدة، والموت عليه أهون من ابتعادها عن عالمه، تلك الشهية كقطعة من حلواه المفضلة، الحنونة كأم رؤوم، القريبة كراحة يده، والبعيدة كبعد النجوم.

***

أجفلت عندما سمعت طرقات متتابعة على باب الغرفة لتعتدل بثبات وهي تشمخ بأنفها ثم أذنت للطارق الذي تعلم هويته سلفًا بالدخول، فتح باب الغرفة بهدوء لتراه بكامل هيبته، يدلف بخطوات ثابتة ثم أغلق الباب من خلفه بذات الهدوء، وكأنه لا يبالي بوضعهما الغريب من الأساس، هيأته الضخمة تبتلع هواء الغرفة من حولها، يتأملها بعيناه الصقريتان بلون الشيكولاتة الداكنة، يعلوهما حاجبان كثان بنفس ذات اللون، أنف ناتئ يعلو شفتان حسيتان، ملامحه مفرطة الوسامة.

هي لا تنكر ذلك ولكنها للحق لا تهتم، لقد قابلت رجالاً بوسامته من قبل ولكنها الفتاة العملية التي لا تشغلها مثل تلك التفاهات، تقدم لداخل الغرفة ليجلس على أحد المقاعد الجانبية بأريحية فاتحاً زر سترته بأناقة، ورغم رغبتها في الإشاحة بوجهها عن نظراته التي تتأملها دون خجل، إلا أنها ظلت ترمقه بثبات دون أن يرف جفنها، فقط ليقطع الصمت بعد لحظات بقوله ،،،،

- «هذه ستكون غرفتك ريماس، أتمنى أن تكون قد أعجبتك، أنا هنا الآن لنضع بعض النقاط الرئيسية التي على أساسها سنتابع تلك المسرحية الهزلية»

عقد بين حاجبيه عندما لم تبدي أي ردة فعل وهو يتأملها بصمت، لا يعلم بماذا تفكر، ملامحها الواثقة والمنغلقة لا تشي بأي مما يعتمل بصدرها كغيرها من النساء ... وهو حقاً قد قابل الكثيرات، عندما طال تأملها الصامت له بالمقابل زفر بخفوت وهو يميل بجسده للأمام، يستند بكلا مرفقيه على ركبتيه وهو يفرك جبهته بشئ من التوتر، ثم ما لبث أن قال أخيرًا وهو يعود بنظراته لها ،،،،

- «كما اتفقنا في المرة السابقة، زواجنا سيظل صورياً فيما بيننا، وبالطبع تعلمين أن سبب عدم رغبتي في البقاء في البلدة اليوم هو انتظارهم لإثبات عذريتك كما حكمت العادة»

اشتعال وجنتيها كان أول رد فعل حقيقي لها منذ دلف للغرفة مما جعله يسيطر بشق الأنفس على رغبته في الابتسام، على الأقل تخجل كقريناتها، عندما تململت في جلستها مما أوحى له بأنها لا تشعر بالارتياح لمسار الحديث لم يشأ أن يمعن في إحراجها، لذا تراجع للخلف معتدلًا في جلسته وعيناه تراقبانها عن كثب ،،،،،،

- « أنا لدي كاميلا لذلك اطمئني، لا حاجة للحرج فيما بيننا، وكما وعدتك سابقاً ستكونين مساعدتي الخاصة وستترجمين رواياتي للإيطالية والعربية كذلك، المقربين جداً مني هنا في إسطنبول فقط من يعلمون بأمر تلك الزيجة؛ لذا استرخي رجاءً وإذا احتجتي أي شئ لا ترددي في طلبه»

أومأت إيجاباً بصمت فماذا تقول على أية حال، هل تخبره أنها لا تخشاه من الأساس، بل وأنها تستطيع كذلك حماية نفسها لو سوّلت له نفسه وحاول الاقتراب منها وفرض حقوق لا يمتلكها عليها، هل تخبره بأنه بالنسبة لها لا يعدو عن كونه مجرد وسيلة لا أكثر، سبيلًا لتحقيق غايتها، هل تخبره بأن كبريائها وبرغم زواجهما الصوري لم يكن ليسمح لها بأن تقبل برجل على علاقة بأخرى، لا بالطبع لن تخبره، ستهتم فقط بما أتت لأجله ... عملها، مستقبلها الذي ستخول لها تلك الفرصة إعادة بنائه من جديد.

زفر بارتياح وكأنه قد أزاح للتو حملاً ثقيلًا عن كاهله وهو يقف ملقيًا عليها تحية المساء ثم تحرّك نحو باب الغرفة فاتحًا له ... هنا كان دورها لتزفر بارتياح وهي ترتمي بجسدها على الفراش الوثير محدقة في سقف الغرفة فوقها.

***

استند بظهره على باب الغرفة بعد أن أغلقه خلفه، تلك النارية مختلفة، كل لحظة قضاها برفقتها حتى الآن تؤكد حدسه المبدئي عنها، رجل وامرأتان ابتسم لنفسه بسخرية من تلاعب القدر، من كان ليصدق أن الفتاة الواثقة التي دلفت لمكتبه منذ عشرة أيام فقط في مقابلة عمل رسمية ستقبل بصفقة كتلك، ولكنه الطموح اللعين الذي يعمي الأعين، وإن كان هناك ما علمته إيّاه الحياة فهو وبكل تأكيد أن الحاجة تدفع صاحبها لما ظن أنه بعيداً كل البعد عنه، وهو واثق تماماً أنه لولا حاجتها الملحة للعمل وإثبات نفسها لما قبلت بتلك الصفقة من الأساس، فبجرة قلم سريعة منه فتح لها باب العمل على مصرعيه، وأوصد في المقابل أبواباً من الجحيم على مخططاته السرية، صدفة جعلت حظه البائس يبتسم في وجهه أخيراً بعد أن ظن أنه قد حُوصِر بلا سبيل للخلاص من تحكمات والده، الذي لا يعلم كيف علم بارتباطه من فتاة أجنبية وقد تكتم على الأمر جيداً في الأشهر الماضية التي مكثت كاميلا بها برفقته

في إسطنبول، ليصر بعدها على تزويجه من إحدى فتايات العائلات المرموقة بقريته، لا لشئ سوى ضمان فرض سيطرته على مقاليد الأمور كعادته كما عدم عودته للخارج من جديد.

ورغم محاولاته التي استمرت لأشهر لإقناعه إلا أن والده صاحب الكلمة الواحدة والتي كسرها مرة من قبل بالفعل لم يكن ليقبل بلا كجواب، وضع وجدا أنفسهما به دون أدنى إرادة من كلاهما، ليختارا وقتها الحل الأكثر سلمية وهو الزواج ولكن مع إيقاف التنفيذ، وكلاهما سيخرج رابحاً في النهاية، لا يهم ما ينتظره من أصدقائه من تقريع، لا يهم رأي حبيبته التي سترضخ للأمر الواقع في النهاية بكل تأكيد، فما يفعله يحتاج لقوة العقل لا ضعف المشاعر التي لا تثمن ولا تغني من جوع ... ابتعد عن الباب عندما شعر باهتزاز هاتفه في جيب بنطاله ليستله عاقداً بين حاجبيه وهو يفتح الرسالة الواردة بلا اكتراث، عيناه تمران على الأحرف المتراصة أمامه بكسل، ثم ابتسم ابتسامة جانبية لا تفصح عن نواياه وهو يتحرك بخطوات واسعة مغادراً لمنزله.

***

في جنح الظلام الذي اتخذته ستاراً لما انتوته، أخذت تركض بكل ما أوتيت من قوة وهي تتلفت حولها بذعر، تحاول متابعة طريقها رغم أنفاسها اللاهثة وقدميها اللاتي أصبحتا كالهلام من

الإرهاق، تخشى أن يراها أحدهم فيتعرف عليها ويعديها مجدداً لمصيرها الذي تركته خلفها، جرأة لم تكن لتمتلكها يوماً إلا أن خلاصها يعتمد كلياً عليها، فإمَّا النجاة وإمَّا موت حتمي ينتظرها حال عودتها، فمثلها لا تمتلك من أمرها شيئاً، مجرد تابع لكبار لا يهتموا مثقال ذرة بأمرها ورغباتها.

وها هي قد أخذت قرارها للمرة الأولى ووضعته موضع التنفيذ، فلماذا إذا تشعر بالخدر يسري في كامل جسدها، بنبضات خافقها التي يتردد صداها في آذانها، بقطرات العرق اللعينة التي تنساب على طول عمودها الفقري، شهقت بهلع عندما تعثرت لتكتم صرخة كادت أن تفلت من بين شفتيها رغماً عنها وهي تشعر بآلام حادة في ركبتيها، لابد وأنها قد جرحت ولكنها لا تمتلك الآن رفاهية التوقف للاطمئنان على إصابتها، ترنحت في وقفتها، ولكنها استطاعت ببعض الجهد أن توازن نفسها، ثم تابعت ركضها بخطوات عرجاء وهي تتلفت حولها، غير مبالية بالدموع التي أخذت تنساب على وجنتيها، تريد أن تخرج فقط من قريتها، تبتعد عن مصدر تهديدها ولا يهم لأين.

لا يهم أنها لا تملك سوى بضعة ليرات وقطعتين فقط من الملابس المهترئة في حقيبتها البلاستيكية التي تتوسد حضنها، لا تعلم أتحتمي بها أم تخشى سقوطها فتخسر ممتلكاتها الضئيلة.

وقفت أخيراً وهي تميل بجسدها للأمام مستندة على فخذيها بإرهاق، تحاول التقاط أنفاسها وقد وصلت للطريق الخالي إلا من بعض السيارات المسرعة من وقت لآخر، ضوء مصابيح السيارات المفاجئ بعد الظلام الذي تركته خلفها يغشى عينيها، ولكنها وقفت بثبات ظاهري لا تمتلكه وهي تلوح بكلتا يديها علّ أحدهم يتوقف ليقلها، لن تعود مجدداً لتتزوج من أحد أبناء عمومتها والذي تكرهه أكثر مما تكره عادات بلدتها وخضوع ساكنيها لحكم الأغا القاسي، مذنبة أن أحبت، وسبية وإن لم تحب، وفي الحالتين سيزج بها في زيجة بائسة لتضحى ذليلة كأمها وغيرها من المنكودات اللاتي طالما استمعت لشكواهن التي لا تنتهي في المجالس النسائية، قوانين صارمة تسري على الكبير قبل الصغير، وفي حالتها لا يوجد سوى قانون واحد بعد فعلتها تلك (الموت) ولا يعي الإنسان قيمة الحياة حقاً إلا عندما تلاحقه أشباح الموت.

توقف إحدى السيارت المفاجئ أجفلها بعد أن كادت تفقد الأمل في نجاتها، ابتلعت ريقها بصوت مسموع، ثم اغتصبت ابتسامة شاكرة وهي تقترب من باب السيارة لتطالع راكبها من النافذة ،،،،

- «معذرة سيدي، أنا فقط أحتاج أن تقلني لأقرب موقف للحافلات المغادرة لإسطنبول».

إسطنبول التي لم تزورها يوماً والتي طالما استمعت للحكايا عن اتساعها وازدحامها، ستكون بالتأكيد أفضل مكان تستطيع الهروب إليه دون أن يستطيع أحد العثور عليها في زحمة مدينة الكنوز، هكذا فكرت وهي تطالع الجالس خلف مقود سيارته يرمقها بغموض، ابتسامة هادئة صاحبتها إيماءة من رأسه هي كل ما كانت تحتاجة لتسع ابتسامتها وهي تمد يدها الحره لتفتح الباب المجاور لها، تتمتم بكلمات الشكر دون توقف، شددت قبضتها على الكيس البلاستيكي المتوسد حجرها وهي تعيد غلق الباب خلفها.

جلست في المقعد المجاور له، ثم ما لبثت أن ابتسمت له ابتسامة متوترة وهي تعود بوجهها للطريق عندما أعاد تشغيل محرك السيارة لينطلق بها صوب المجهول، الحرج الذي أنساها إيّاه خوفها من انكشاف أمرها عاجلها دفعة واحدة وهي تتطلع في الطريق المظلم أمامها، بينما هي في تلك المساحة الضيقة برفقة غريب، ماذا لو كان قاتل مأجور أو لديه اضطراب نفسي ما ؟، وبرغم هيأته الأنيقة ورائحة عطره باهظة الثمن ووسامته التي لا يمكن للأعمى إنكارها إلا أن كل تلك الأشياء لا تعني كونه شخصاً سويًّا، لن يغتصبها ثم يتركها على قارعة الطريق تنزف حتى الموت.

أغمضت عينيها وهي تحرك رأسها برفض قاطع لمسار أفكارها والذي لن يزيدها سوى هلعاً فوق ما تعانيه بالفعل، تتمتم بخفوت

بآيات من القرآن الكريم علها تحفظها وتبث الطمأنينة في قلبها، فلابد أن أفلام الرعب التي كانت تشاهدها برفقة إخوتها قد أذهبت عقلها بعد الإثارة التي عايشتها اليوم على غير عادتها، تغضنت ملامحها عندما تذكرت أشقائها وما ستسببه لهم بفعلتها المتهورة تلك، ولكن صوت حمحمته الذكورية قاطعت أفكارها، رمشت بأهدابها وهي تلتفت لتواجه جانب وجهه، ولكنه لم يزح عينيه عن الطريق وهو يقول ،،،،

- «هل لي بسؤال ؟»

حرَّكت رأسها إيجاباً رغم توترها الواضح من سؤاله القادم ليستطرد وهو ينظر لها بجانب عينيه ،،،،

- «هل تهربين من أحدهم؟ هل هناك من يتبعك ؟»

أشاحت بوجهها لتنظر من النافذة نحو الظلام الشاسع حولها وهي تحرك رأسها نفياً ،،،

- «لا أحد يتبعني ... لا تقلق سيدي لن أورطك»

نظر لها مطولاً بصمت وقد ارتفع جانب شفته بابتسامة ساخرة سرعان ما أخفاها وهو يعود بوجهه للطريق دون مزيداً من الكلمات !!!!

***

الفصل الثاني

ضرب الأرض بعصاه فجأة ليعم الصمت المكان، ما الذي أصاب فتايات البلدة، في السابق لم تكن الفتاة لتجرؤ على معارضة ذويها كما معارضته، أمَّا الآن ،،،

حالة من الهرج تسود بلدته، حالات هروب الفتايات في ازدياد دون سبب منطقي لذلك، لقد نشأن على الطاعة العمياء لا التمرد المشين الذي ورغم العقاب الحاسم له والذي وضعه آبائه وأجداده وحرص عليه بنفسه كما سيحرص عليه أبناؤه الذكور من بعده إلا أنه لم يساعد على انهاء تلك المهزلة، لا هو ولا أغاوات القرى المجاورة كذلك، وبرغم أن قريته تُعدُّ أحد المزارات السياحية للقادمين من كل حدب وصوب إلا أنه استطاع كل تلك السنوات الماضية السيطرة على مجريات الأمور، ما الذي سيفعله الآن وهو يكاد يفقد هيبته بين الرجال بسبب رعونة فتايات هذا الجيل الفاسد،

استغفر في سره وهو يدور بعينيه في الوجوه من حوله، ثم قال بنبرة قاطعة يعلم أثرها على رجال قريته ،،،،،

- «لا أريد كثرة حديث، الفتاة سيتم البحث عنها وإحضارها لتواجه مصيرها الذي اختارته بنفسها»

- «نعم يا أغا كما أحضرت باقي الفتايات من قبل أليس كذلك ؟»

خرج ذلك الهتاف باستهجان واضح من أحد رجال البلدة والذي وجه له الأغا نظرة صاعقة في المقابل لم يعبأ بها الأخير، الرجال من حولهم ينقلون أبصارهم بينهما بانشداه، ولكن دون أي تعليق، فالجميع يعلم ماذا تعني معارضة الأغا إلا من ذلك الأرعن على ما يبدو ... لكزه أحد أقربائه في خصره محاولاً اسكاته إلا أنه تجاهله وهو يستطرد دون اكتراث بالتحذيرات من حوله ،،،،،

- « الفتايات تجرَّأنَّ على الهرب وكل مرة نستمع لذات الحديث ولا فتاة تعود بعدها، أو ربما .....».

ثم ترك جملته الأخيرة معلقة وسط تساؤلات الجميع الصامتة عن فحوى حديثه، ولكن الأغا هتف بصوت جهوري وهو يصوب نظراته على ذلك الذي تجرأ على إعلاء صوته في مجلسه ،،،،

- « أو ربما ماذا ؟ ما الذي تقصده بحديثك يا هذا ؟»

- « ربما فشل رجالك في تقفي أثر الفتايات بالفعل ولكنك لا تريد الاعتراف بذلك»

قالها الرجل بثبات ظاهري جعل الأغا يرمقه بغضب ظهر جلياً في اشتعال عينيه، صوت الهمهمات التي علت من حوله فجأة جعلته يطحن أسنانه وهو ينتصب واقفاً، ضرب الأرض بعصاه ليصمت الجميع ثم قال بجمود ،،،،

- « رجالي من أقوى وأذكى رجال القرية كما يعلم الجميع، لا أظن أن بينكم من هو أجدر منهم بالقيام بتلك المهمات الشاقة، كيف تمتلك الجرأة لتتبجح أمامي وتتهمني ورجالي بالفشل في إدارة شؤون القرية، ثم قبل أن تحملني مسؤولية عدم العثور عليهنَّ حتى الآن، انظر ماذا فعل الدلال الزائد للفتايات والذي طالما حذرتكم منه قبلاً».

ثم رفع كفه بصرامة منهياً الحوار عندما لاحظ تنكيس بعض الرجال لرؤوسهم، لن يقبل بإحناء هامات الرجال في بلدته، أمَّا عديمات التربية فسيكون لهم معه حساباً عسيراً حال عثور رجاله عليهن ،،،،،

- «هيا كلٌ إلى عمله الآن لا داعي لتضييع المزيد من الوقت في حديث لا جدوى منه، وكما وعدتكم سابقاً سيتم البحث عن الفتايات، ولن أكون الأغا حكمت أن لم يعدنّ لينلنَّ ما يستحقون»

ثم أشار بيده بصرامة لرجاله الذين بدأوا في صرف رجال البلدة من المجلس، لينهار فجأة قناعه المتماسك وهو يتهالك على مقعده وعقله يعمل بلا توقف، لقد اتهمه أحد رجال القرية بالتقصير اليوم، ولولا رجاحة عقله وإدراكه للوضع المتأزم بالفعل وأثر تلك البلبلة على مكانته لكان قد لقنه درسًا لن ينساه حتى يتعلم فيما بعد كيف يحادث كبيره، الوضع يكاد يخرج عن سيطرته، ولو لم يحكم قبضته على زمام الأمور قبل فوات الأوان لن تنتهي تلك الغمة على خير ... أبداً.

***

اقتحم باريش غرفة المكتب الخاصة بفرات كالإعصار دون أن يكلف نفسه عناء الطرق على بابها الذي دفعه بقدمه لينغلق من خلفه بعنف، يطالع ذلك الجالس على مقعده بلا مبالاة ضاعفت من غضبه، ملامحه متغضنه، وعيناه تطلقان شرراً جعل الأخير يعقد بين حاجبيه باستفهام، فصديقه ورغم علاقتهما الوطيدة إلا أنه لم يقدم على مثل ذلك الفعل من قبل، وقف عن مقعده وعيناه لم تحيدا عن باريش الذي خطى لداخل الغرفة بخطوات واسعة ليعاجله فرات بالقول ،،،،

- «ماذا هناك باريش ؟ منذ متى وأنت تقتحم الغرفة بتلك الطريقة ؟»

ضرب باريش راحتيه على سطح المكتب، وهو يقول من بين أسنانه المطبقة ،،،،

- « منذ أن بدأ صديقي الغبي في التصرف دون تفكير أو مشورة»

دقق فرات النظر في ملامح صديقه الغاضبة لبرهة بعدم فهم، ثم ما لبث أن ضرب رأسه براحته وقد صفعه الإدراك أخيراً ... ابتسامة ساخرة شقت جانب ثغره وهو يعاود الجلوس على مقعده بينما يشير لصديقه نحو المقعد المواجه له ،،،

- « اهدأ يا رجل واجلس، سأشرح لك كل شئ»

تأفف باريش بانزعاج، ولكنه رغم ذلك قبل دعوته على مضض وعيناه تناظران صديقه بغضب جَلي، ينتظر منه تفسيراً منطقياً لفعلته الأخيرة، ولن يبارح مكانه حتى يحصل عليه، قاطع فرات حديث النفس ذاك وهو يسأله بهدوء ،،،،

- «أتذكر الفتاة التي تقدمت للعمل كمترجمة قبل سفري للبلدة؟ ريماس !!».

عقد باريش بين حاجبيه بتفكير لبرهة دون جدوى، بحق الله أي ريماس تلك، وما علاقتها بسؤاله من الأساس، لذا ورغم عدم تذكره لها إلا أنه أومأ بنفاذ صبر، يريد أن يعرف إلى أين سيقوده ذلك الحديث، وعلى ما يبدو قد التقط فرات حيرته فاستطرد ،،،،

- « على أية حال، أنت تعلم بما طلبه مني الأغا وتهديده لي بالتبرؤ مني إذا لم أنصاع لأمره، ليس ذلك ما دفعني للقبول بالطبع فأنا لست بحاجة لأمواله الآن ولكن والدتي باريش، لم أستطيع أن أتحمل بكائها خشية فراقي لذلك وافقت على عرضه صاغراً، يكفي ما عانته في غيابي السنوات الماضية»

ثم تراجع للخلف ليستند على ظهر مقعده باسماً ،،،،

- «ولن تصدق كم دعمني القدر في مسعاي يا صديقي»

عقد باريش بين حاجبيه بعدم فهم ليكمل الأخير ،،،،

- «عندما ذهبت للبلدة بناءً على طلب من الوالد، كان في انتظاري ثلاث فتايات من أكبر عائلات البلدة، وذلك كما تعلم كرم مبالغ به من رجل مثله، ورغم ضيقي المستحق إلا أن نظرة واحدة لإحدى الفتايات كانت أكثر من كافية لاتخاذي لقراري».

يومها أثار تعجبه إصرار والديه على إقامة حفلًا متأخرًا بمناسبة عودة وحيدهم من الخارج، أي حفل هذا وقد عاد منذ أكثر من عام، ورغم رفضه للفكرة إلا أنه وبنظرة واحدة لعينا والدته الراجيتين لم يعد بقادر على الاعتراض،،،

عقد باريش ذراعيه أمام صدره وهو يميل برأسه للجانب بابتسامة ساخرة ،،،

- «ماذا، أتنتظر مني أن أصدق بأنك وقعت صريعاً من نظرة واحدة !!»

تراجع فرات برأسه للخلف في ضحكة مجلجلة وهو يحرك رأسه بمعنى لا فائدة ،،،،

- «لا يا ذا الرأس السميك ... لقد كانت هي، ريماس، الفتاة التي تقدمت للعمل في الدار، وببساطة استطعت أن أعقد معها صفقة زواج مع وقف التنفيذ مقابل عقد عملها»

تدلى فك باريش ببلاهة جعلت الأخير يحاول السيطرة على رغبته في الضحك من جديد بصعوبة وهو يستمع لصديقه يردد جملته الأخيرة بعدم فهم ،،،،

- «زواج مع وقف التنفيذ ... ماذا بحق الله من المفترض أن يعنيه ذلك ؟»

فتح فرات ذراعيه على اتساعهما وهو يجيبه باسماً بمنطقية مضحكة ،،،،

- «بالضبط كما فهمت ... لا عِناق، لا قبلات ساخنة، لا ...»

- « يكفي»

ضحك بصوت مرتفع عندما قاطعه صديقه الخجول بصرخته الأخيرة وقد احمرتا أرنبتي أذنه كعادته عندما يشعر بالحرج من كلماته الصريحة ليقول بعد صمت قصير وزفرة خافتة ،،،

- «أنا أفهم جيداً ما تعنيه جملة (مع وقف التنفيذ) لا أحتاج لتوضيحك الثمين ذلك ... ولكن كيف ولماذا قبلت من الأساس، ثم كيف قبلت ريماس هذه بصفقة مخزية كتلك ؟ وماذا عن كاميلا ؟ ألا تدري ما الذي أوقعت نفسك به ؟!»

حرَّك فرات كتفيه بلا اكتراث وهو يرفع شفته لأعلى ،،،

- « ريماس تحتاج للعمل وتلك الصفقة أكثر من مربحة بالنسبة لها، أمَّا فيما يتعلق بكاميلا فاترك أمرها لي سأستطيع اقناعها خاصة وأنها ستعيش معنا تحت سقف واحد وليست بحاجة للقلق من الأخرى، أمَّا بالنسبة لي فأخبرتك سابقاً باريش لن .. أجرح .. أمي .. من .. جديد»

ضغط فرات على كل كلمة في جملته الأخيرة بذلك الإصرار جعل باريش يضرب كفيه ببعضهما وهو يحرك رأسه بغير تصديق ،،،،

- « لم أعد أفهمك يا صديقي، أتمنى فقط إلا نتفقا عليك سويًّا لتحيلا أيامك الغالية لجحيم مستعر»

ضحك فرات بشدة من تعليق صديقه الساخر، ثم ما لبث باريش أن شاركه الضحك حتى أدمعت عيناه، لا يصدق تهور صديقه الذي لا يكف عن إبهاره من وقت لآخر ... بعد لحظات بدأت ضحكاته في التراجع رويداً رويداً ليسأله ولازالت ابتسامته تزين ثغره ،،،،

- «حسناً ومتى سنلتقي بالعروس المزعومة ؟»

شرد فرات في تلك التي تركها خلفه بالأمس بل وغادر سريعاً كذلك في الصباح عندما اكتشف أنه استغرق في النوم، دون أن يطمئن على حالها أو يخبرها بأنه يحتاج لتمهيد الأمر لرفاقه قبل التحاقها بالعمل ... هل استطاعت التأقلم مع وضعها الجديد !!

- « ستبدأ العمل من الغد»

إجابه بآلية ثم عاد لشروده من جديد.

***

عادت لغرفتها سريعاً بعد أن تأكدت من كونها وحيدة في منزله الضخم، هذا بالضبط ما تحتاجه الآن، إفطار سريع ومزوالة

بعض التمرينات الرياضية التي أهملتها مؤخراً، وكم بلغت سعادتها عندما اكتشفت الصالة الرياضية المجهزة في الدور السفلي، ولكن ما أثار حيرتها هي تلك الغرفة الصغيرة المجاورة له والتي تبدو كمرسم، هل لديه موهبة الرسم كذلك ؟ ... ابتسامة ساخرة ارتسمت على ثغرها من الفكرة، وهي تتخيل ذلك العملاق تكسوه الألوان من رأسه لأخمص قدميه، ولكنها تجاهلت الأمر ببساطة وهي تسحب ملابسها الرياضية الخفيفة من حقيبتها التي لم تفرغها بعد، ثم شرعت في تبديل ملابسها.

بضعة لقيمات بسيطة تناولتها على عجل في المطبخ، ثم توجهت بخطى شبه متقافزة نحو الصالة الرياضية، ضغطت زر المسجل لتنطلق الموسيقى الحماسية ثم بدأت في ممارسة الرياضة، كسمكة تم انتشالها من بحر الحياة قبل أن تنقطع شبكة الصياد فتعود سعيدة راضية لموطنها، تنهل من حريتها المؤقتة بقدر استطاعتها، تتدرب برفق وروية استحالا مع الوقت لعنف وقوة وهي تضرب الكيس الجلدي الضخم أمامها بكلا قبضتيها، لا تبالي بحبات العرق التي أغرقت جسدها، ولا بأنفاسها التي تعالى لهاثها، كل ما يشغلها أنها ها هنا، في مكان مألوف لديها أخيراً، تمارس أحب الأشياء لقلبها، تطلعت لانعكاسها عبر المرآة المواجهة لمكان وقفتها وابتسامة حنين تداعب ثغرها، لطالما حسدتها رفيقاتها في صالة الألعاب

الرياضية بالنادي على جسدها الأنثوي الذي لم تؤثر به مزاولة الرياضة المستمرة ولم تبرز عضلاتها كبعضهن ... وكأنها تهتم، خلعت القفازات أخيراً عن كفيها لتضعهما برفق في مكانهما المعتاد ثم تحركت بخطوات واسعة نحو غرفتها، لقد كانت بحاجة لتفريغ بعض طاقتها التي اختزنتها طويلاً، وحان الآن موعد حمامها البارد علها تنعش جسدها المنهك ...

تمدّدت في حوض الاستحمام بعد أن ملأته مغمضة العينين، تناشد رائحة العطور البرية التي ترافقها على الدوام أن تساعدها على الاسترخاء، صوراً متلاحقة للمحات من الماضي القريب تتابعت في عقلها إلا أنها نفضت رأسها وهي تزفر بخفوت، تحاول نفض تلك الأفكار غير المرغوبة عن رأسها ... الآن هو وقتها الخاص ولا أحد يجرؤ حتى أفكارها على سلبها إياه.

***

تعالى صوت الضحكات في مكتب فرات حتى أنه خشي أن ينتبه باقي موظفيه للحديث الدائر في مكتبه، رفع يده مستوقفاً لهم وهو يقول بنبرة أرادها حازمة ولكن ابتسامته حالت دون ذلك ،،،

- «حسناً ألم تكتفي نارين من السخرية، لقد أثرنا فضول الموظفين بكل تأكيد الآن»

ضحكت نارين بقوة وهي تنحني للأمام واضعة يدها على معدتها بينما تقول وهي غير قادرة على التوقف ،،،،

- « وماذا لو أثرنا فضولهم، الأيام القادمة ستحمل لهم الكثير من التسلية بكل تأكيد ورئيسهم الهمام حائر بين نسائه يركض في ممرات الدار بين هذه وتلك»

تبادل كل من كرم وباريش النظرات، ثم انفجرا مجددًا في الضحك، فبالطبع مشهد فرات في تلك الحالة سيكون حديث الساعة، ابتسم فرات لمرحهم الواضع على حسابه، هو ليس منزعجاً بكل تأكيد، فلم تخلق بعد من تسحبه خلفها سعياً لمراضاتها، إلا أنه رغماً عنه تخيل هيأته وهو يركض بتوتر خلف نسائه أمام نظرات الموظفين الفضولية، بالطبع ستكون سابقة يتحدث عنها الوسط الأدبي لسنوات، فمن منهم يتخيل أن فرات الأغا معشوق النساء وكاتب الدراما الرومانسية الشهير الذي ألهب مشاعر معجباته في سنوات قلائل بكلماته التي تتغنين بها على مواقع التواصل الاجتماعي سيكون رجلاً لامرأتين، بالطبع سيستغل منافسيه خبراً كذاك لإثارة الأقاويل من حوله وهو بالطبع لن يقبل بذلك، لذا لابد وأن يظل خبر زواجه من ريماس طي الكتمان، تحمحم أخيراً ليجلي صوته وهو يقول بجدية ،،،،

- « أتمنى أن تكون تسليتكم قد انتهت لليوم، ولكنكم بالطبع تعلمون أن خبر زواجي لن يتم نشره، فأنا أمام الجميع لي حبيبة وحيدة، وبالطبع معجبيّ ليسوا بحاجة لمعرفة تفاصيل حياتي الخاصة بذلك التعمق»

أومأ الجميع إيجاباً بعدم اقتناع وهم يتبادلون النظرات فيما بينهم، بالطبع لن يفشوا سره، ولكن ماذا عن أسرتيهما، ماذا عن صحافة الفضائح التي تقتنص فرصاً كتلك ؟ لكم من الوقت سيستطيع فرات إخفاء الأمر عن أناس كل عملهم هو البحث عن ثغرات في حياة المشاهير تمنحهم سبق صحفي دون مراعاة لخصوصيات أو أسرار ... وقف باريش أخيراً وهو يصفق منهياً للحديث بعد أن نظر في ساعة معصمه ،،،،

- « هيا لقد تأخر الوقت فلنترك العريس الآن ليعود لعروسه قبل أن تعود كاميلا لتحيل شهر عسلهما الافتراضي لجحيم من نوع أنيق يماثلها»

ضحك الجميع على تعليقه وهم يتأهبون للخروج من الغرفة فيما شرد فرات في كاميلا التي أوشكت سفرتها على الانتهاء، لقد حادثته قبل إقتحام رفاقه لمكتبه بساعات، تخبره بحماسها المعهود أنها اشتاقته وستعود في أسرع وقت لإسطنبول بمجرد أن ينتهي الحفل الخاص بمعرض صديقتها في الغد، زفر بخفوت وهو يغمض

عينيه، يمسد شعره الطويل المعقوص للخلف بأناقة على شكل ذيل فرس قبل أن يفتحهما وهو ينظر في ساعة معصمه، لابد أن يعود للمنزل ليتناول طعامه ثم يحظى بحمام دافئ يساعده على الاسترخاء، فهو لم ينم تقريباً بالأمس كما أنه لا يعلم كيف أمضت ريماس يومها في منزل غريب وحيدة، ربما لم تستطيع التأقلم مع وضعها الجديد، وهي رغم كل شئ ضيفته التي وجب عليه توفير سبل راحتها ... أليس كذلك ؟ ، انتصب واقفاً وهو يسحب مفاتيح سيارته وهاتفه ثم تحرك بخطوات واسعة لخارج مكتبه.

***

زفرت بملل وهي تلقي بجهاز التحكم في شاشة التلفاز على الطاولة أمامها ... لماذا تأخر ! ألم يكن من المفترض أن يصطحبها للعمل اليوم، لماذا غادر أثناء نومها إذن، لن تنكر سعادتها لفكرة بقائها وحيدة في المنزل، ولكنها الآن تشعر بنوع من الملل، لقد ألهتها سعادتها بالصالة الرياضية تماماً عن التفكير بالأمر في حينها.

نظرت لهاتفها الموضوع على الأريكة بجوارها ثم اعتدلت في جلستها وهي تقرر محادثة رفيقتها التي تجاهلتها متعمدة منذ وصولها لإسطنبول، بالطبع لم تكن لتتهرب منها يوماً، ولكن الأمور منذ وصولها كانت خارجة تماماً عن السيطرة، ولم تكن تعلم بماذا تخبرها وهي لم تعتاد الكذب عليها، لذا فضلت تجاهل مكالماتها الواردة

ببساطة حتى تستقر أمورها، سحبت نفساً عميقاً ثم ضغطت على زر الاتصال وانتظرت الرد ،،،،

- «لماذا تتصلين الآن ها، ألم تكتفي بأقاربك وتنسيني، ألم تتجاهلي اتصالاتي الملحة، ماذا تريدين الآن ....»

ضحكت رغماً عنها وهي تحرك رأسها يميناً فيسار، ثم قالت بنبرة حانية غلبها شوقها ،،،،

- «حسناً حسناً يا مجنونة توقفي الآن، لقد كانت الأمور خارجة عن السيطرة بعض الشئ؛ لذا لم أريد أن أقلقك»

وكعادتها صديقتها تتناسى كل غضبها بمجرد أن تشعر باحتياجها لها؛ لذا لم تتعجب عندما لانت نبرتها وهي تسألها بخفوت حذر ،،،،

- «ماذا حدث ؟»

ابتسامة ساخرة شقت ملامح ريماس ،،،

- «فقط تزوجت سديم»

أبعدت الهاتف عن أذنها عندما صرخت صديقتها فجأة بغير تصديق ،،،

- «ماذا ؟ كيف ؟ ومن هو ؟ ما الذي تهذين به ريماس ؟ هل حرارتك مرتفعة ؟»

ضحكت ريماس رغماً عنها وهي تحرك رأسها نفياً وكأنها تراها ،،،،

- «هذا ما حدث صدقيني ... زواج مدبر كزواج الصالونات في مصر»

- «من هو ؟ هل هو وسيم ؟»

- «لا أعلم، إنه كاتب شهير هنا يدعى بفرات الأغا لا أظنك تعرفينه»

- «حسناً حسناً انتظري دقيقة إياكِ أن تغلقي الخط ؟ سأقتلك إن فعلتي»

عقدت ريماس بين حاجبيها بعدم فهم، ولكنها رغم ذلك أجابتها بالإيجاب، تنظر حولها بملل وهي تطرق بأناملها على ذراع الأريكة العريض في انتظار انتهاء صديقتها من أي ما كانت تفعله، اعتدلت فجأة مجفلة عندما سمعت جلبة على الطرف الآخر تلاها هتاف صديقتها المبهور ،،،،،

- «واااو ... لقد وقعت واقفة يا فتاة إنه وسيم بشكل مفرط، وعلى ما يبدو معشوقاً للنساء، حقاً لا ألومهنَّ»

التوى جانب ثغرها بتهكم، بالطبع لقد بحثت صديقتها عن اسمه عبر موقع التواصل الذي تدمنه، يا لها من سطحية.

- «ماذا، أليس فتاك الغامض الذي لم تري منه سوى صورة حسابه الشخصي والتي في الغالب ليست صورته من الأساس أوسم منه ؟»

سمعت صوت تأفف صديقتها عبر الأثير ،،،،

- «لماذا تذكريني به الآن ريماس لقد تركته، أتعلمين لقد أصريت على مقابلته، وعندما رأيته اكتشفت أن حديثك عنه كان صائباً تماماً، لم تكن تلك صورته بالفعل، ولكن عندما خيرته بين مقابلته وإنهاء علاقتنا الإلكترونية رضخ أخيراً للأمر وتخيلي ماذا ... إنه كبير في السن ريماس يقترب من عمر زوج والدتي، معدة هائلة ورأس صلعاء أووووف لقد كدت أن أصاب بنوبة قلبية حين رأيته»

كتمت ريماس ضحكتها كي لا تثير حفيظة صديقتها التي لم تستمع يوماً لنصائحها ،،،،،

- «حسناً، وكيف تملصت منه بعد أن رآك يا ذكية ؟»

- «لا لا لم يراني، لحسن حظي المكان كان شبه خالياً، لذا تعرفت عليه بسهولة وعدت للمنزل راكضة وأول ما فعلته هو حظره نهائياً من حسابي كما حياتي»

ضحكت ريماس بقوة وهي تضع يدها على فمها بينما تلتفت لتعدل من جلستها، ولكنها توقفت فجأة عن الضحك عندما رفعت عينيها أخيراً لتجده أمامها بكامل هيبته، يقف بهدوئه المعتاد قبالتها وعيناه ترقبانها بنظرة غريبة، رمشت بأهدابها عدة مرات حتى تتأكد من كونها لا تتوهم وجوده ها هنا، أمامها، يفرض هيمنته على أي مكان يحتله كعادته، لابد وأنها قد التهت في الحديث مع صديقتها حتى أنها لم تسمع صوت فتحه الباب أو إغلاقه له من خلفه ... تنبهت على صوت صديقتها التي لازالت على الطرف الآخر وعندها قالت بهدوء مقاطعة لها ،،،،

- «سأحادثك فيما بعد سديم ... لقد أتى ز ....»

ثم بترت باقي كلمتها عندما رأته يرفع إحدى حاجبيه بتحدي ... يتحداها أن تنعته بزوجها وكلاهما يعلم حقيقة تلك العلاقة، وقبل أن تعلق صديقتها إحدى تعليقاتها الشهيرة أغلقت الخط بسرعة وهي تنهض عن مجلسها ... توقفت بعد خطوة واحدة عندما رفع يده مستوقفاً لها ،،،،

- «اجلسي ريماس»

عادت لجلستها من جديد دونما اعتراض، تطالعه بصمت وهو يتلفت حوله قبل أن يعود بعينيه نحوها وهو يسألها بجدية ،،،،

- «هل تناولتِ غدائك ؟»

حرَّكت رأسها نفياً ثم إيجاباً مما دفعه للضحك، اقترب من مكانها ليتوقف تمامًا أمام مقعدها وهو يستل هاتفه من جيب سترته ،،،،

- «أنا أيضاً لم أتناول غدائي ... تحبين البيتزا أليس كذلك ؟»

أومأت إيجاباً فابتسم وهو يضغط على رقم في هاتفه ثم ما لبث أن وضعه على أذنه بثقة.

سبت نفسها في سرها، منذ متى وهي نجوله هكذا، ذلك الوضع لا يعجبها، لقد تعاملت في السابق مع العديد من الرجال ولكنها أبداً لم تشعر بالحرج من حديثها مع أحدهم ... إذن لماذا هو ؟ ، ربما لأنها لم تكن زوجة أحدهم من قبل ولو صورياً !! ... ابتسامة متهكمة شقت ثغرها وهي تعود بنظراتها نحوه عندما سمعته ينهي حديثه ... لتجده يبتسم بود وهو يتحرك في اتجاه الدرج الداخلي المؤدي للغرف في الدور العلوي قائلًا،،،،

- «سأبدل ملابسي ثم أحظى بحمام دافئ وأعود»

ثم وبدون انتظار ردها بدأ في ارتقاء الدرج بخطوات سريعة ... لا يعلم ما الذي دهاه عندما فتح باب المنزل ليراها تضحك بتلك الأريحية مع صديقتها ... هل لأنه للمرة الأولى يرى ضحكتها الحقيقية ؟ أم ربما لأن تلك الضحكة أنارت وجهها حتى كاد

بريقه يغشى عينيه، هو رجل رومانسي بفطرته، التعبير عن كل ما هو جميل فنه الذي يتقنه، وتلك اللوحة الفنية التي رآها فور دلوفه لمنزله والتي جعلته يقف في مكانه غير قادر على الإشاحة ببصره عنها تحتاج لأكثر من بضع كلمات لإيفائها حقها هذا إن استطاع من الأساس، كما أن فكرة كونها زوجته تدفعه رغماً عنه لتخيلها بطريقة ذكورية بحته، تفكير شهواني هو يعترف بذلك، ولكنه في النهاية ليس بقديس!!

تحرَّكت لتفتح الباب عندما سمعت صوت الجرس يعلن عن وصول عامل التوصيل على الأغلب، ولكنها توقفت في منتصف الطريق عندما أتاها صوته من خلفها ،،،،،

- «انتظري سأفتح أنا الباب»

حرَّكت كتفيها بلا مبالاه وهي تلتف لتعود لمكانها من جديد، ولكنها توقفت فجأة وهي تدور حول نفسها عندما سمعت صوت صرخة أنثوية أجفلتها، عقدت بين حاجبيها وهي تطالع تلك التي تعلقت برقبته وقد ثبت هو تماماً في أرضه يتقبل قبلاتها الحارة بجمود ،،،،،

- «لقد اشتقتك حبيبي، ما رأيك في تلك المفاجأة ؟»

اللهجة الإيطالية الواضحة والتي ميزتها على الفور جعلتها تتعرف على الزائرة والتي هي للحق ليست بزائرة بل صاحبة منزل، ابتسمت لنفسها بسخرية وهي تتحرك بآلية منتوية العودة لغرفتها، ولكن الشهقة الأنثوية من خلفها أجفلتها لتعاود التفاتها على الفور، زوجان من الأعين يحدقان بها بتعبيرات متباينة وصوت أنثوي يهتف بصدمة واضحة ،،،،

- «من تلك فرات ؟!»

***

الفصل الثالث

يا الله دمية الباربي تلك حتمًا ستبدأ الآن في وصلة بكاء مريرة لن تنتهي، هذا ما جلبته على نفسها عندما وافقت على تلك الصفقة السخيفه التي فرضت عليها، تململت في وقفتها وهي تدور بحدقتيها في محجريهما عاقدة ذراعيها أمام صدرها، تطالع فرات وهو يحاول تهدئة مدللة أبيها التي بدلًا من أن تثور في وجهه ترنحت في وقفتها حتى ارتطم ظهرها بالباب المغلق خلفها، هيا عزيزتي انزلقي الآن حتى تستقرين على الأرض الباردة ثم أخفي وجهك خلف كفيكِ وابدئي معزوفة بؤسك .... وها قد بدأنا .... أكشن.

حقًا هل ستظل على وقفتها تلك في انتظار انتهائها من ندب حظها البائس ... حرَّكت رأسها بسخرية وهي تتقدم نحو علب البيتزا الشهية التي أحضرها عامل التوصيل منذ لحظات، فتحت إحداهما وهي تستنشق بنهم الرائحة الذكية التي تنبعث من خلالها، معدتها تكاد تصرخ من شدة جوعها وبنظرة جانبية ساخرة شرعت

في التهام وجبتها اللذيذة، تتأوه باستمتاع وهي تلوك الطعام في فمها دونما اكتراث بحالة الحداد التي أعلنتها تلك التي تتوسد صدر فرات الآن وهي تشتم بلغتها الأم في غريمتها، ربما هي لا تعلم أنها تفهمها جيدًا، ولكن فرات يعلم على أية حال، فالمترجمة الجديدة لدار النشر خاصته والتي تجيد خمسة لغات من ضمنهم اللغة الإيطالية ليست بكل تأكيد غافلة عما تنعتها به تلك الغاضبة، هي حقًا لا تلومها، ولكن أليست مبالغة بعض الشئ ؟

- «ما الذي تفعلينه، تعالي ساعديني على تهدئتها»

- «أووووه صدقني عزيزي قربي منها في تلك اللحظة لن يكون أبدًا الخيار الجيد لكلانا»

لكلاكما، صحت بينها وبين نفسها وهي تتابع تناول طعامها دون أن تلقي نظرة واحدة صوبهما من جديد، فعلى أية حال قصص الهوى والدراما الرومانسية ليست أبدًا بمشاهدها المفضلة، ربما كان لسديم رأي آخر ولكن ليس هي، فتحت علبة المشروب الغازي بجوارها لترتشف منه عدة رشفات ثم وضعته جانبًا وهي تمسد معدتها الممتلئة، حسنًا لقد حان موعد نومها ...

نظرة أخيرة ألقتها نحوهم من فوق كتفها تبعتها بتحركها بخطوات واسعة نحو الدرج الداخلي وهي ترتقيه صعودًا نحو غرفتها، لقد

انتهى المرح لليوم، ولكن مهلًا ماذا عن عملها في الدار لقد نست تمامًا أن تسأله، التفت على أعقابها لتقف على مقدمة الدرج وهي تقول بصوت مرتفع ،،،،

- «هل سأذهب للعمل في الغد أم ماذا؟»

وصلتها صوت زمجرته الخشنة مما يعني انزعاجه من لامبالاتها بالموقف الذي وضع نفسه به، إلا أنها تجاهلتها وهي تعيد سؤالها من جديد بنفاذ صبر وعندها أجابها بكلمة واحدة من بين أسنانه ،،،،

- «نعم»

ابتسمت وهي تفرك كفيها ببعضهما بحماس ثم تحرَّكت بخطوات واسعة نحو غرفتها، لا تعلم ما سبب تلك الشجاعة المفاجئة والتي غابت عنها في حضوره الفترة الماضية، ربما خجل فطري لأنثى لم تعش وحيدة تحت سقف بيت واحد مع أحدهم من قبل، أمَّا الشجاعة فقد استردتها ببساطة بسبب وجود تلك الباكية في الأسفل، ستنام اليوم قريرة العين دون أن تتأهب للدفاع عن نفسها في حال راودته نفسه الدنيئه وفكر في اقتحام غرفتها في جنح الليل.

***

لا يعلم هل يضحك على تصرف ريماس الغريب والمفاجئ أم يصرخ في وجه تلك التي صرعته ببكائها الذي لا نهاية له، لن ينكر أن هشاشتها ونعومتها كانا أهم أسباب تقربه منها، ربما أغرته فكرة بكائها على صدره كرجل يتكلم بلغة المشاعر، ولكن هناك فرق هائل ما بين البكاء والنواح الذي تقوم به الآن، وضع أنامله أسفل ذقنها ثم رفع وجهها المنتفخ من أثر البكاء لتقابله ،،،،

- «حبيبتي، فكري للحظة، هل لو كانت حقًا زوجتي بما للكلمة من معنى كانت لتتركنا بمفردنا وتذهب للنوم، بحق الله إنها تنام في غرفة منفصلة بينما أنتِ من ستشاركيني غرفتي، لقد أخبرتك أنها زيجة فقط على الورق مجرد صفقة لإرضاء أهلنا فقط لا غير، اعقلي فقد أوشكت على فقدان عقلي هنا»

شهقت عدة شهقات وهي ترمقه من خلف أهدابها الرطبة بحزن طفولي ،،،

- « أحقًا ما تقول !»

إيماءة بسيطة من رأسه كانت كل ما تحتاجه لترتمي على صدره وهي تحتضنه بتملك أنثى لن تقبل أن تشاركها أخرى فيما هو لها وحدها، غافلة عن نظرات عينيه من خلف ظهرها والتي تطالع بشرود مكان اختفاء ريماس.

***

صوت طرقات حذائها الأنثوي على الأرض الرخامية جذب بالطبع العديد من الأنظار نحوها، ولكن منذ متى وأنثى الظل تثيرها فكرة الاهتمام الزائف، كانت تتقدم بثقة نحو مكتب فرات، ثقة أفتقدتها تمامًا وهي تتسلل كالسارقة من الباب الخلفي لقيلته كي لا يلتقطها أحد المتربصين بالكاتب الشهير، طرقت طرقتان ثم فتحت باب المكتب عندما سمعت صوته الواثق يأذن لها بالدخول، تقدمت للداخل ثم التفت لتغلق الباب خلفها بهدوء، عادت بكليتها نحوه من جديد وهي تستفسر بعملية ،،،،

- «أين مكتبي ؟»

اتكأ على ظهر مقعده بعنجهية وهو يفرك لحيته، يتأملها بتقييم، بدلة عملية أنيقة باللون الرمادي الغامق تعلو قميصًا حريريًا من اللون النبتي، حذاء أنثوي أنيق، لن ينكر أناقتها، ولكنه لم يستطيع أن يمنع عقله عن التساؤل حول سبب ارتدائها الألوان الداكنة على الدوام برغم جسدها الذي تحسدها عليه عارضات الأزياء، شعرها الناري الخالي من الأصباغ يحيط وجهها الخالي تمامًا من مساحيق التجميل مما يضيف لهيأتها نوع من التمرد يليق بها.

ارتفع جانب شفته بابتسامة متسلية عندما ظهر التأفف على محياها وهي تدور بحدقتيها في محجري عينيها في عادة لاحظ أنها تقوم بها كلما شعرت بالملل أو الانزعاج، حسنًا هو يريد الانتقام

بعد تخليها عن مساعدته بالأمس في تهدئة كاميلا، ولكن ذلك بالطبع ليس بالوقت أو المكان المناسب، تحمحم ليجلي حنجرته وهو يشير لها نحو المقعد المواجه لمكتبه بينما يفتح أحد الأدراج الجانبية ليخرج ملف ما ،،،،،

- «فلننتهي أولًا من عقد العمل ثم سأريكِ مكتبك فيما بعد»

تناولت الملف من يده وهي تجلس على المقعد المقابل لمكتبه، ثم شرعت في قراءة محتواه متجاهلة نظراته التي تعلم أنها لم تفارقها منذ دلفت لمكتبه، لقد سمعت أنه زير نساء، ولكنه سيكون غبيًا لو ظن للحظة أنها كغيرها، ولو ظن للحظة أنها تماثلهم سطحية ربما حينها سيكون بحاجة ماسة لإعادة التفكير ..

حالما انتهت من القراءة مدت يدها نحو مجموعة الأقلام الموضوعة في علبة أنيقة على مكتبه، ثم خطت إمضائها في المكان المخصص له وناولته الملف من جديد ... تفحص إمضائها للحظات ثم طوى الملف ووضعه في مكانه ليسحب ملفاً آخر واضعًا إيّاه أمامها على سطح المكتب الزجاجي ،،،،

- «حسنًا ريماس، ربما لا تعلمين أن بداياتي كانت في إيطاليا ككاتب إلكتروني، ما أحتاجه منكِ الآن هو ترجمة تلك الخاطرات للتركية حتى يتسنى لي وضعها مجمعة في كتاب ورقي»

تناولت الملف من يده دون أن تفتحه وهي تحرك رأسها بعملية ثم وقفت عن مقعدها قائلة وهي تشير بعينيها نحو باب المكتب المغلق ،،،،

- «هل ستريني مكتبي الآن ؟»

***

لم تكد تمضي بضعة دقائق على انصرافه من مكتبها لتفاجأ بأحدهم يفتح الباب دفعة واحدة، طالعت بحاجبين معقودين الفتاة الشقراء القصيرة بعض الشئ التي دلفت للغرفة، أطلت الفتاة برأسها من الباب المفتوح لتنظر في الطرقة الخارجية يمينًا ثم يسارًا وكأنها تتأكد من عدم تتبع أحدهم لها، ثم أعادت إغلاق الباب برفق وهي تلتفت لتواجهها، زفرت بارتياح وقد ارتسمت ابتسامة مشرقة على محيّاها وهي تقول بحماس وتقرير لم تخطؤه أذنيها ،،،،

- «أنتِ العروس إذن»

ابتلعت ريماس صدمتها وهي تتذكر كلماته عن أن البعض فقط من يعلم بتلك الزيجة، وعلى ما يبدو تلك الفتاة من ذلك البعض الذي أشار إليه سابقًا؛ لذا ابتسمت وهي تفتح ذراعيها على اتساعهما ،،،،

- «بشحمها ولحمها كما ترين»

ضحكت الفتاة بتسلية، ثم ما لبثت أن تحركت لتجلس على المقعد المواجه لها بأريحية وهي تمد لها كفها عبر سطح المكتب معرفة عن نفسها ،،،

- «أنا نارين صديقة فرات وزميلتك في الدار»

صافحتها ريماس باسمة وهي تحاول استنتاج سبب تلك الزيارة المفاجئة والذي لم يتأخر وهي تسمع نارين تسألها بفضول كان ينضح من عينيها ،،،،

- «حسنًا لقد عرفت الشق الخاص بفرات من القصة، ولكن ماذا عنك ؟ أعلم أنني أبدو متطفلة، ولكني حقًا أريد أن أفهم ما يحدث من حولي»

حقًا هي لا تبدو متطفلة كما تقول بل هي بالفعل متطفلة، ولكنها وعلى الرغم من ذلك تذكرها بصديقة طفولتها ومراهقتها سديم، نفس الحماس، نفس الفضول اللعين، ونفس الحيوية والإنطلاق، شعور بالألفة استشعرته رغمًا عنها نحو تلك الجالسة أمامها، تطالعها بترقب وفضول كاد أن يميت صاحبته كمدًا لو لم ترضيه.

- «من جانبي الموضوع كان يشبه قصة سندريلا والأمير، حفل دعيت له فتايات القرية بإلحاح من ذويهم، ولكن الفارق أن الأمير لم يكن سوى صاحب العمل الذي تقدمت له سندريلا أملًا في تحقيق ذاتها، والذي تصادف أنه لا يريد الزواج كما تفعل هي لذلك لم تجد سببًا منطقيًا للاعتراض على صفقة مؤقتة عُرضت عليها سيخرج منها كلا طرفيها رابحاً في الأخير»

رغم القلوب التي كانت تنبعث من عينا نارين إلا انها أمالت رأسها وهي تتساءل بتسلية واضحة:

- «وماذا لو فقدت سندريلا قلبها لأميرها الوسيم ؟ أسيكون ذلك خسارة أم ربح ؟»

هنا انفجرت ريماس في الضحك وهي تحرك رأسها نفيًا بغير تصديق، ماذا !! هل تظنها حقًا ستقع صريعة لهوى زير النساء؟ لقد أخبرتها بقصتها بتلك الطريقة التي تبدو حالمية فقط، لأنها الطريقة المثلى لشرح صفقتهما ببساطة لفتاة بطبيعة تشبه طبيعة سديم، ليس وكأنها سندريلا وفرات أميرها الوسيم، هي ليست بتلك السطحية وبالتأكيد لن تسقط صريعة في عشق رجل تقتصر مميزاته على الوسامة الظاهرية، حسنًا وعمل ناجح كذلك، هي فتاة عملية مشاعرها تسير جنبًا إلى جنب مع عقلها وعقلها المتطلب لن يقبل إلا بمن يماثله، وفرات بكل تأكيد لا يقارب تلك المواصفات ولو من بعيد

- «حبيبتي لا سندريلا هنا ولا أمير أسطوري، هنا توجد فقط صفقة طرفاها ناضجان بما يكفي لعقدها، ثم حل ذلك العقد في الوقت المناسب لكلاهما، أم أنكِ قد نسيتي أن الأمير في تلك القصة لديه أميرته بالفعل !!»

تلاعبت نارين بحاجبيها بشقاوة، ثم رفعت أناملها أمام وجهها وهي تتأمل أظافرها هامسة وكأنها تحادث نفسها:

- «حسنًا سنرى»

لن تنكر نارين أن تلك العروس قد نالت إعجابها على غير المتوقع، بعكس تلك المدللة التي تبدو وكأنها لا تستطيع تصفيف شعرها دون الحاجة للعون، نعم لن تنفي استنكارها لتصرفه المتهور، ولكن حدسها الأنثوي يخبرها بأن القدر يخبئ لهما الكثير في جعبته، ربما هي فعلًا ليست مهتمة بفرات رغم غرابة الفكرة خاصة وهي زوجته رسميًا حتى ولو كان ذلك الزواج مجرد حبر على ورق، إلا أنها وبكل تأكيد ما يحتاجه فرات، ربما هو نفسه لا يدرك حاجته لامرأة قوية تتحداه عوضًا عن الالتصاق به كعلقة، وربما الوقت فقط هو كل ما يحتاجه كلاهما.

***

ما الحب إلا داء ودواء

ما الحب إلا وهن وكبرياء

مخطئ من ظن الحب لعنة الأقوياء

أو جبن توارى خلف نظرة اشتهاء

فالحب مزيجًا غنيًا ما بين الحاجة والعطاء

قلب جسور وجد قرينه في الهوى قد لبّى النداء

يشاطره الوجد في الضراء قبل السراء

ليترنح ثملًا ما بين الحاء والباء

تاركاً من خلفه البائد من حروف الهجاء.

بعد أن انتهت من ترجمة الخاطرة الأخيرة ضمن المجموعة الأولى من الخواطر التي منحها لها في الصباح أخذت تتفكر في معانيها، المعاني التي تناقض طبيعته المعلنة على أية حال.

ورغم يقينها أن خلف كل قناع تقبع حقيقة تنتظر فقط من يكشف عنها النقاب إلا أن حقيقة كونه شخصًا رومانسيًا يستطيع التعبير عن مشاعره بتلك الطريقة المؤثرة فاقت كل توقعاتها، فإمّا أنه موهوب فعلًا في التعبير عن خبايا صدره أو أنه ببساطة يجيد تزييف الحقائق ببلاغة منقطعة النظير وذلك هو يقينها الشخصي ...

ابتسامة ساخرة ارتسمت على شفتيها وهي تغلق جهاز الحاسوب بعد أن انتهت من حفظ الملف لتتأكد من عدم ضياع مجهود يومها سدى، نظرت في ساعة معصمها التي تشير الآن للسابعة، لقد انتهت ساعات العمل منذ ما يقرب الساعتين تقريبًا، ورغم إصراره قبل ذهابه على أن تتابع عملها في الغد وأنه لا حاجة للاستعجال على أية حال إلا أن بقاءها وحيدة في الدار بعد ذهاب الجميع هو كل ما كانت تريده.

فتحت حقيبتها لتتفحص محتوياتها للحظات، ثم وقفت عن مقعدها وهي تتحرك لخارج المكتب، المكان خالي تمامًا إلا منها الآن، فيما عدا رجال الأمن الذين ليسوا بحاجة لتفحص المكان قبل انصرافها ... تلفتت حولها وهي تتقدم بخطوات حذرة من باب مكتبه المغلق، ثم ما لبثت أن فتحت حقيبتها لتخرج بعض الأدوات المعدنية التي لا تفارقها، تلفتت مجددًا حولها ثم بدأت بإصرار ومهارة في فتح باب المكتب، لحظات ليس إلا وسمعت صوت الباب يفتح لتزفر بارتياح وهي تعيد عدتها لمكانها السابق ثم خطت أولى خطواتها لداخل الغرفة المظلمة.

فتحت ضوء الكشاف الخاص بهاتفها وهي تتقدم بحرص لداخل المكتب الذي أغلقته من خلفها، تتحرك يمينًا ويسارًا بسرعة وهي تزرع محتويات حقيبتها في أماكن متفرقة من الغرفة ...

جلست أخيرًا على مقعده الجلدي الدوَّار بعد أن انتهت من وضع آخر محتويات حقيبتها في الهاتف الداخلي لمكتبه ثم مدت يدها وشرعت في تفتيش محتويات الأدراج من حولها، تقلب في الملفات الواحد تلو الآخر وشعور بالإحباط يتعاظم بداخلها ... يبدو أن هدفها أكثر حرصًا مما أملت، تأهبت كل حواسها دفعة واحدة عندما استمعت لصوت قرقعة حذاء أحدهم على الأرض الرخامية في الطرقة خارج المكتب، أسرعت بإغلاق كشاف هاتفها وهي تتحرك بسرعة ورشاقة لتختبئ خلف المقعد الذي كانت تحتله فقط منذ لحظات، يا الله لا يمكن أن يكون حظها العثر قد لاحقها إلى هنا، أخذت تبتهل إلى الله في سرها وهي تحاول البحث في عقلها عن مبرر منطقي لوجودها في مكتبه المظلم في ذلك الوقت المتأخر دون جدوى، بحق الله أي مبرر ستختلقه وقد كان مكتبه مغلق بمفتاحه الخاص والذي لا تمتلكه من الأساس، فقط لحظات أخرى تبعها انتشار الضوء في الغرفة ونبرة ذكورية تعلن بخبث وانتصار ،،،،

- «وجدتك يا لعينة»

***

الفصل الرابع

قطة !! لقد كاد قلبها أن يتوقف والسبب قطة لعينة اختارت ذلك التوقيت تحديدًا لتتسلل لداخل الدار، فقط لتزيد الطين بلة وذلك الحارس الغبي يحاول اللحاق بها حتى كاد أن يمسكها هي بالجرم المشهود ..

خرجت من باب الدار بعد أن ألقت بتحية سريعة على الحارسين وهي تبحث بعينيها عن سيارة أجرة لتقلها، توقفت إحدى السيارات أخيرًا لتركب ثم أملت السائق العنوان واستندت برأسها على ظهر مقعدها، تحاول الاستمتاع بنسمات الهواء العليلة التي تداعب بشرتها، لطالما اقتنعت بأنها كائن ليلي يهوى دكنة الكون من حوله، المشاع أن الليل لا يجلب سوى الحزن لساهريه، ذكريات تنهش أصحابها دون رحمة خلف ستاره الداكن، إلا أنه في حالتها لا يجلب سوى ابتسامة حانية لثغرها، ابتسامة تصاحب ذكرياتها السعيدة ولو سرق الفقد أصحابها، يذكرها بروح تعلم انها تطالعها الآن بفخر من بين لمعة النجوم،،،

جدها وفقيد روحها، رجل المخابرات المتقاعد والذي كان يعتبرها ابنته لا حفيدته، يحاول بكل ما أوتي من قوة أن يعوضها عن فشله في تربية وحيدة، يروي لها القصص الشيقة حول مغامراته في الداخل والخارج، يغذي عقلها الطفولي بالحكايا الحماسية التي تتركها لاهثة خلف حلم لا يعرف المستحيل ..

أحلامها لم تكن يوماً وردية كقريناتها، بل كانت دوماً تحلم بأن تحقق بطولاتها الخاصة على أرض الواقع، لن تنسى يوماً لمعة عينيه وهي تخبره برغبتها في تعلم سُبل الدفاع عن النفس، ليسجلها بعدها دون مناقشة في أشهر نوادي الطبقة الراقية، تتعلم الرياضات القتالية بمهارة أثارت انتباه الجميع وثنائهم، مما شجعها لتطلب منه أن يدربها على إستخدام الأسلحة، و لسعادتها لم تجد منه سوى الترحيب ... كعادته يدعمها، كعادته يلبي لها رغباتها برحابة صدر، كعادته كان ولازال بعد أن واراه الثرى الأقرب لقلبها وعقلها على السواء....

لقد كان دومًا درعها الواقي ضد الصدمات إلا أنه وللمرة الأولى عجز عن تجنيبها صدمة اكتشاف عدم قابليتها للالتحاق بكلية الشرطة بسبب كون والدتها غير مصرية، ورغم حنقها المستحق لإخفائه عنها تلك المعلومة كل تلك السنوات، إلا انها في النهاية تفهمته كالعادة عندما أخبرها أنه لم يشأ إحباطها وإنحماد حماسها بخبر كذاك وترك الأمر لحينه، لتتقلص خياراتها وتجد نفسها أمام

شغفها الآخر وهو تعلم اللغات، والذي اكتسبته مجدداً من خلاله، وقد كان حريصاً على تعليمها اللغات المختلفة والتي كان يتقنها بمهارة، لتلتحق بكلية الألسن، فتاة مجتهدة ، دؤوبة، ابنة جدها كما كان يدللها دائماً ... حتى أتى اليوم الذي انقلبت فيه حياتها رأساً على عقب بكل طريقة إيجابية ممكنة.

ففي ذلك اليوم أقام جدها حفلاً بمناسبة تخرجها، حفلاً أقامه على شرفها في أحد النوادي المرموقة والذي اجتمع فيه العديد من أصحاب المراكز في الدولة مجاملة له، لينتهي سريعاً بعد أن قاطعه مجموعة من الملثمين بنية اغتيال أحد الوزراء والذي كان صديقاً مقرباً لجدها، وما بين الهرج والصراخ والركض هنا وهناك فاجأت الجميع ببسالتها وهي تنقض على أحد الملثمين من الخلف في غفلة منه، ذلك الذي كان يثبت سلاحه على جانب رأس الوزير مطالباً حراسته بالتراجع وقد أحاطهم رفاقه، لتجفله عندما ركلت يده الممسكة بالسلاح وهي تضع إحدى يديها فوق رأسه وبيدها الأخرى ضغطت على ذقنه بقوة جعلته يرخي ذراعه حول كتف الوزير الذي استغل الفرصة ليحرر نفسه مبتعداً، وبينما أسرع رجال حراسته باستغلال الموقف وكأن تلك كانت صافرة الانطلاق لهم للاشتباك مع مجموعة الملثمين، دارت هي من حول

أسيرها دورة كاملة في الهواء لتستقر في النهاية على الأرض واقفة بثبات فوق جثته وقد دقت عنقه وسط دهشة وتهليل الجميع ...

صدفة لم تكن تتوقعها ليفاجئها الوزير بعدها بأن طلب من جدها إلحاقها بطاقم حراسته كحارسة متخفية تعمل تحت التغطية ... حلماً صار واقعاً في غمضة عين فقط لتستفيق منه بعد حادث اغتيال الوزير وقد قامت بحراسته لسنوات.

اهتزاز هاتفها بداخل حقيبة يدها أعادها لأرض الواقع من جديد، فتحت الحقيبة ساحبة له ثم ضغطت على زر الرد عندما قرأت اسم المتصل وهي تقول دون مقدمات ،،،

- «تم زرع الكاميرات بنجاح وأنا في طريق العودة الآن لمنزل الهدف»

***

ترجلت عن السيارة على مسافة معقولة من منزل فرات كما اتفقا سابقًا ثم بدأت في السير إلا أنها توقفت فجأة عندما شعرت بأحدهم يحاول سحب حقيبة يدها، التفت بسرعة منتوية تسديد إحدى لكماتها الشهيرة لوجهه، ولكن صرخة فرات الذي أتى مهرولاً من خلفها استوقفتها، انفع بعنف نحو مهاجمها ليعاجله بضربة من جبهته في وجهه جعلت وزنه يختل.

كانت تطالع الموقف أمامها بانشداه، فزوجها أو أن صح القول هدفها قد قبض على ياقة قميص ذلك الأرعن الذي لا يدري ما الذي أقحم نفسه به، يكيل له اللكمات تباعًا بغضب أعمى وهو يزأر كأسد غاضب، لا تعلم لماذا في ذلك الوقت ذكرها بجدها، لم يدافع عنها أحدهم من قبل سواه، هي بالطبع أكثر من قادرة على الدفاع عن نفسها ولكنه لا يعلم ذلك، نفضه فرات عنه أخيرًا عندما كاد أن يفقد الوعي بين يديه وهو يحيط كتفها بحمائية ليتحرك بها نحو باب المنزل.

شعور خائن بالدفء تسلل على استحياء لداخلها، شعور لم تعايشه من قبل وهي تسمع صوت لهاثه القوي بجوار أذنها ورغمًا عنها رفعت عينيها نحوه، تتأمل جانب وجهه وكأنها تراه للمرة الأولى، رد فعله يبدو طبيعيًا جدًا دون تكلف، كيف بحق الله يمتلك هدفها تلك النخوة الفطرية التي تستشعرها الآن، هل من الممكن أن يكون هناك خطأ من نوع ما، ربما أخطأت الهدف وربما هو فقط بارع جدًا في التمثيل ،،،،

- «ما الذي حدث فرات وما تلك الجلبة في الخارج؟»

كان ذلك سؤال كاميلا الفضولي عندما دلفا لداخل المنزل، ابعد فرات ذراعه عن كتف ريماس وكأنه قد تنبه لوضعهما عندما نقلت كاميلا نظراتها بينهما بتوجس ثم أجابها باسمًا ،،،،

- «لا شئ كاميلا اطمئني»

رفعت كتفيها بلا مبالاة وهي تتحرك نحوهما، ثم ما لبثت أن شهقت فجأة وهي تشير نحو قبضته الدامية:

- «فرات أنت مصاب، أرجوك حبيبي أنت تعلم أني أخاف من الدماء عالجها سريعًا، سأنتظرك في الغرفة»

ثم اقتربت منه منتوية تقبيله، ولكنها تراجعت للخلف وعلامات التقزز واضحة على ملامحها:

- «تصبح على خير»

ثم أسرعت نحو الدرج تصحبها نظرات ريماس الغير مستوعبة لرد فعلها الغريب، لقد سمعت كثيرًا عن برودة الأوروبيين، ولكنها لم تكن لتتوقع أن هناك امرأة أيًّا كانت جنسيتها سيكون ذاك هو رد فعلها على منظر الدماء المقطرة من أنامل حبيبها.

ابتعد فرات بآلية وهو يتحرك نحو الحمام ليعود بعد لحظات حاملًا علبة الإسعافات الأوَّلية في يده السليمة ... تابعته بصمت وهو يجلس على إحدى الأرائك فاتحًا لها ثم بدأ بصعوبة يحاول فتح علبة المطهر بيده اليسرى، لا تعلم هل هو الإشفاق أم أنه فقط التصرف الطبيعي الذي كانت لتفعله أي فتاة أخرى في مكانها ووجب عليها إتباع نفس النهج كي لا تثير تساؤلاته، خاصة وهي السبب في

جرح يده، اقتربت لتجلس على الطاولة أمامه متناولة علبة المطهر من يده، ضاربة باعتراضه الواهي عرض الحائط وهي تعكف على تنظيف جرحه، حرارة غير مرحب بها بعثت بها نظراته المتأملة من ذلك القرب لسائر جسدها، ابتلعت ريقها بتوتر جديد عليها وهي تحاول التركيز على ما تفعله، اللحظات تمضي وكأنها سنوات، تريد الانتهاء سريعًا من تلك الحميمية الغير مرغوبة في أسرع وقت، زفرت بارتياح عندما انتهت من وضع اللاصق الطبي أخيراً على جرحه ولكنها عندما كادت أن تبتعد فوجئت به يقبض على أناملها رافعًا لكفها لمستوى شفتيه ثم لثمه بخفه، لفتة بسيطة ربما لا تعني سوى الشكر ولكنها أسرت بدغدغة كهربية لذيذة على طول عمودها الفقري خاصة وهو يتبعها بقوله الأجش ،،،،

- «شكرًا لكِ»

يا الله هل تعطل المكيف أم أنها فقط حرارة جسدها الخائن الذي تفاعل رغمًا عنه مع قربه، مشاعر غريبة عليها تجتاحها وهي تشارك أحدهم للمرة الأولى مساحتها الخاصة، بالتأكيد لو قام أحدهم بذلك التصرف في وقت آخر لكانت قد لقنته درسًا عنيفًا يجعله يتجنب في المستقبل جنس حواء بأكمله، ولكنها وبكل أسف مجبرة على التصرف بحكمة كي لا تثير بداخله تساؤلات من شأنها أن تدمر خطتها كاملة ...

حاولت سحب أناملها من جديد، ولكنه شدد من قبضة يده السليمة عليها وهو يقترب و عيناه لا تبارحان ملامحها، ثم قلص المسافة بينهما وهو يطبع قبلة طويلة في الجزء الفاصل بين وجنتها وشفتيها ...

حسنًا لقد طفح الكيل، انتفضت مبتعدة عنه كالملسوعة دون أن تمنحه فرصة للحديث وهي تركض وكأن الشياطين تطاردها لتحتمي بجدران غرفتها ... بمجرد أن أغلقت باب الغرفة خلفها استندت بظهرها عليه مغمضة العينين، تضع يدها على خافقها الذي كان يضرب الآن بين جنبات صدرها بجنون يوازي جنون اللحظات القليلة الماضية، أي شيطان تلبسها لتسقط صريعه لسحره بتلك الطريقة المثيرة للاشمئزاز، منذ متى وهي تشهر رايتها البيضاء في وجه رجل خاصة لو كان خصمها، نعم خصمها، مجرد هدف لعين ستنتهي منه في أقرب وقت ممكن، على ما يبدو فكرة الزواج الغبية قد تلاعبت بعقلها لتفقده رجاحته، نفضت رأسها بحدة رافضة لفكرتها الأخيرة، فهي ريماس الدميري، ابنة جدها، فخره و خليفته و لن تسمح أبدًا لذلك اللعوب بسحب البساط من تحت قدميها.

***

تمدد على الفراش بجوار كاميلا إلا أن عقله كان سابحًا في خيالاته الخاصة، خيالات لا تحوي سواه، وتلك النارية التي قلبت عالمه بين ليلة وضحاها، منذ متى لم يضعف أمام امرأة مهما بلغت فتنتها !

لا يعلم ما الذي دهاه عندما عرضت عليه تنظيف جرح يده بذلك الإصرار، لمسة أناملها الناعمة على بشرة يده الخشنة، أهدابها الكثيفة كألسنة اللهب التي هددت بإحراقه حيًا دون أدنى مقاومة منه، عيناها الخضراوان كحقول غناء في صباح يوم ربيعي منعش، شفتيها الكرزيتين اللاتي تتحديانه برعونة أن يقترب وينهل من ما حلل الله له إلا أنه بغباء قد حرمه على نفسه، ابتسامة مشاغبة ارتسمت على ملامحه وهو يتذكر ارتجاف جسدها عندما طبع قبلته الوحيدة بالقرب من ثغرها، ربما هي كذلك تستشعر ذلك الانجذاب غير المعهود بينهما، حرك رأسه برفض لمسار أفكاره وهو يتطلع في تلك الراقدة بجواره، هل حقًا يحبها ؟ .. سحب نفسًا عميقًا زفره بخفوت وهو يضع إحدى يديه فوق عينيه، يتوسل النوم أن يرحمه من صخب أفكاره.

***

في الأسابيع القليلة التالية كانت تحاول تجنب البقاء منفردة معه بشتى الطرق، رغم محاولاته الحثيثة لتغيير ذلك، إلا أنها أنثى الظل كما لقبها زملائها من قبل، أنثى اعتادت العمل في الخفاء، تستمتع ببقائها متأهبة لأي تهديد محتمل في زاوية غير مرئية، وبقائها في تلك المهمة على وجه التحديد خارج نطاقها الآمن يشكل تهديدًا جديدًا لم تتدرب على مجابهته من قبل، الغريب في الأمر أنه وحتى الآن يبدو كشخص طبيعي تمامًا لا تشوبه الشبهات، إلا أن ذلك وبالطبع لن ينطلي على أنثى عملت لسنوات على التصدي للهجمات الغير متوقعة، تعلمت مع مضي السنون أن البعض يتخذ قناع البراءة كدرع يواري خلفه تشوهاته الداخلية، بحق الله لقد أحبط كل محاولات حكومة بلده للعثور على إثبات واحد على تورطه، حتى هي وقد أصبحت في عرينه عاجزة عن الحصول على أي دليل يذكر ... إلى الآن.

لقد تأخر اليوم في العمل متعللًا بانتظاره لاتصال هام من الخارج، وها هي الآن تجلس في غرفتها في انتظار عودته، ثم ذهابه للنوم حتى تتسنى لها فرصة التصنت على مكالمته تلك.

نزلت عن فراشها لترتدي خفها المنزلي، ثم تحرَّكت لخارج الغرفة، تريد أن تلتهي في أي شئ كي لا تغفى من شدة الإرهاق وقد كان يومها في العمل حافلًا، لقد بدأ في كتابة روايته الجديدة وكعادته وفقًا

لكلام نارين يشارك أصدقائه في أفكاره قبل أن يبدأ في نسجها على شكل ثوب أنيق يضيفه لمجموعته، ليس ذلك هو الغريب في الأمر ولكن رغبته في حضورها ذلك الاجتماع المغلق هو ما أشعرها بالغرابة،، كادت أن تخطو أولى خطواتها نحو الدرجٍ ولكنها توقفت عندما طالعته وهو يقف في منتصف البهو واضعًا سماعة هاتف المنزل على أذنه، يهمس بكلمات لم تصلها، تراجعت خطوة للخلف وهي تعود بنظراتها نحو غرفته المغلقة لتتأكد من عدم استيقاظ كاميلا، ولكنها التفتت مجفلة عندما سمعت صوت باب المنزل يغلق

- «هل خرج من جديد !!»

كان ذلك همسها لنفسها وهي تبحث عنه بعينيها بينما ترتقي السلم نزولًا بحذر، إلا أن صوت محرك سيارته الذي قطع الصمت من حولها فجأة كان دليلًا أكثر من كافيًا على خروجه في ذلك الوقت المتأخر من الليل، بخطوات شبه راكضة ارتقت الدرج صعودًا من جديد، ثم تابعت طريقها نحو غرفتها ... أغلقت باب الغرفة بهدوء، ثم تحركت نحو دولاب ملابسها فاتحة له، أخذت تعبث في أغراضها قليلًا لتسحب جهاز الحاسوب الخاص بها ثم فتحته وضغطت زر التشغيل وهي تتحرك نحو فراشها، وضعت سماعة أذنها ثم ضغطت عدة ضغطات على الأزرار ليأتيها صوت أحدهم وهو يقول ،،،،

- «لماذا أغلقت هاتفك بحق الجحيم، عمومًا أنا في انتظارك في مكاننا المعتاد لقد أحضرت الفتاة»

- «لقد نفذ شحنه لذلك أتصل بك، هل رآك أحد ؟»

- «لا»

- «حسنًا أنا في الطريق»

...

- «اللعنة»

همستها بغضب فور أن انتهت المكالمة ولكن عقلها لم يتوقف عن التساؤل حول شخصية محادثه، فصوته يبدو مألوفًا لأذنيها ولكنها لا تستطيع تحديد صاحبه، تُرى من يكون !! ... فركت رأسها بتفكير للحظات، ثم ضربت جبهتها براحة يدها وهي تعود بكامل انتباهها لحاسوبها من جديد، هناك العديد من المكالمات الواردة لمكتبه، ولكن هناك مكالمة وحيدة بعد انقضاء ساعات العمل، حسنًا تلك هي ضالتها، ضغطت أحد الأزرار ليصلها صوت محادثه والذي كان يتحدث الإيطالية تلك المرة، تأهبت كل حواسها وهي تستمع بتركيز لحوارهما

- «مرحبًا فرات»

- «مرحبًا أنطونيو كيف حالك ؟»

- «أنا بخير عزيزي هل انتهيت مما اتفقنا عليه ؟»

هنا سمعت ضحكة فرات الواثقة والتي تبعها بقوله ،،،

- «ليس بعد، هل أرسلت النقود ؟»

- «نعم ولكن لا تتأخر تلك المرة كسابقتها»

- «حسنًا لن أتأخر أعدك لقد وجدت من يعينني»

- «في انتظارك»

اشتعلت عيناها وهي تسبه من بين أسنانها، لقد كاد حقًا أن ينجح في خداعها بقناعه الزائف الذي يصر على ارتدائه أمام الجميع، ولكن ليس بعد الآن، فبرغم أن محادثته الأخيرة مبهمة بعض الشئ، إلا أن المحادثة الأولى كانت أكثر من كافية لإثبات تورطه، نقلت التسجيلات على هاتفها، ثم أرسلتها عبر أحد التطبيقات للشخص المعني بالأمر، أغلقت الحاسوب بحدة وهي تسحبه لتضعه في حقيبة ملابسها التي يبدو أنها ستبدأ في الغد بتجهيزها استعدادًا لإنهاء ذلك الفصل من حياتها.

***

الفصل الخامس

أصدرت إطارات سيارته صوت صرير غاضب عندما أوقفها فجأة متجنباً الارتطام بتلك السيارة الضخمة التي قطعت عليه الطريق، ترجل عن السيارة منتوياً توبيخ ذلك الغبي الذي كاد أن يتسبب في مقتل كلاهما إلا أنه فوجئ بالباب الخلفي للسيارة يُفتح ليترجل عنه رجلان ضخمي الهيئة ليسحبوه بعنف نحو السيارة، ورغم محاولاته المستميتة للخلاص من قبضتيهما إلا أنه كما يقولون (الكثرة تغلب الشجاعة).

- «لماذا أنا هنا ؟»

صرخها فرات بغضب عندما دلف المحقق للغرفة المصمتة ذات الزجاج العاكس، يطالع وجه المحقق الذي لا يشي بشئ وهو يضغط على أحد أزرار الهاتف بيده.

اتسعت عيناه وهو يستمع لمحادثاته الكاملة بينما هو في حالة ذهول تام، كيف وصلت تلك التسجيلات لهنا؟ يا الله ما تلك الورطة ... حتى الإنكار لم يعد هناك فائدة ترجى منه، كيف بحق الله نسي شحن هاتفه الذي يحمل رقمه السري والذي هو مسجل بإسم أحد العاملين بدار النشر خاصته، لطالما شك أنه من الممكن أن تتشكك الحكومة في أمره، خاصة والجميع يعلم موقفه المعارض لقوانين قريته، حقًا لقد أفقدته عقله تلك النارية المتباعدة، هتف المحقق فجأة ضاربًا كلا كفيه على سطح الطاولة بينهما ،،،،

- «ما علاقتك باختفاء الفتايات ؟»

اعتصر فرات عينيه وهو يجعد ملاحه بإحباط ثم قال بخفوت واستسلام ،،،،

- «أساعدهنَّ على الهروب وأوفر لهنَّ العمل و السكن»

- «ماذا ؟»

قالها المحقق بسخرية، ولكن فرات فتح عينيه ليواجهه بثبات ،،،،

- « لديَّ ما يثبت كلامي سيدي، الفتايات تعمل في دار النشر الخاص بي تستطيع سؤالهنَّ بنفسك إن أردت وأستطيع إملائك عنوان السكن الخاص بهنَّ كذلك»

رمقه المحقق بشك للحظات وهو يتابع لغة جسده التي لا توحي بالكذب ثم سأله أخيرًا ،،،،

- «حسنًا فلنفترض أن كلامك صحيح، ماذا عن أنطونيو ذاك، ما علاقتك به، ليست تلك المحادثة الأولى بينكما على قدر علمي»

هنا كان دور فرات ليبتسم بسخرية وهو يجيبه دون أن يرف جفنه ،،،،

- «بالطبع ليست الأولى ولن تكون الأخيرة، انطونيو شريكي في دار النشر الخاص بي، وقد كان يحادثني عن روايتي القادمة التي سأترجمها للإيطالية، ثم أرسل له النسخ المترجمة لتوزيعها على المكتبات كالعادة»

- «هل لديك ما يثبت صحة حديثك ؟»

- «نعم فقط اسمح لي بإجراء محادثة هاتفية ولكن لي رجاء»

عقد المحقق بين حاجبيه بتساؤل فاستطرد فرات ،،،،

- « لا أريد أن تعود الفتايات لذويهم، تستطيعون سؤالهم أن شئتم، ولكن عودتهم وفقًا لقوانين تلك القرى سواء اتفقت معي أم لا، لن يعني سوى موت محقق «

***

تبادلت ريماس النظرات الذاهلة مع النائب الذي كان يتابع بجوارها الحوار الدائر بداخل الغرفة المغلقة، لو استطاع إثبات أقواله تلك سيكون بالفعل برئ كما أعلن حدسها الذي تجاهلته مرارًا على غير عادتها، ليس فقط برئ بل أن جملته الأخيرة التي ترن في أذنيها الآن لا تعني سوى كونه شخص جدير بالاحترام، فعلى الرغم من أنها لم تستقر في قرية والدتها من قبل إلا أنها تعلم جيدًا مصير الفتاة المتمردة على قوانينهم العقيمة التي تتعارض وقوانين الدولة، ولكنهم دائمًا ما يجدون سبيلًا للالتفاف حول تلك القوانين

- «يبدو واثقًا تمامًا من حديثه»

أومأت بشرود دون تعقيب على كلماته، فما الذي ستقوله على أية حال !!

***

- «عفوًا سيدي لا أفهم ؟»

تراجع السيد أحمد في مقعده وهو يقول بينما يفرك جبهته العريضة بإنهاك ،،،

- «الفتايات المفقودات ضعف العدد الذي وجدناه لدى فرات، ثم لا تنسى أننا قد أحبطنا محاولة تهريب فتاتين على الباخرة المتوجهة لإيطاليا بعد أن عبروا بهنَّ الحدود مع سوريا»

أومأت بتفهم وهي تحثه بعينيها على المتابعة، لقد استمعت لتلك القصة من قبل، ولكن ما لا تفهمه هو سبب إصراره على متابعتها لمهمتها وقد ثبتت براءة فرات من ذلك الاتهام وبالأدلة التي لا يُعتد بسواها.

- «للأسف أثناء تبادل إطلاق النيران قتلا مرافقيهما فقط لنجد بعد تفتيشهما الكارت الخاص بفرات في جيب سترة أحدهم»

حسنًا تلك المعلومة جديدة على أذنيها، اعتدلت في جلستها لتواجهه بكليتها وهي تستند بمرفقها على ذراع المقعد الجلدي الملاصق لمكتبه بينما تكور قبضتها أسفل ذقنها عاقدة بين حاجبيها.

- «لدينا بعض الشكوك في أن للمافيا الإيطالية علاقة مباشرة بالأمر، ولكن بالطبع لن نبني اتهامنا على شكوك قد تصيب وقد تخطئ، أمَّا إن صدقت شكوكنا فسنبقى أمام سؤال آخر، من الذي يعاونهم من الداخل وما سبب محاولة توريط فرات»

لقد أخبرها بالفعل عندما عرض عليها تلك المهمة بأن هناك عصابة تقوم بخطف العذراوات بنية تهريبهم لإيطاليا، وبالطبع هي لا تتعجب من فكرة علاقة المافيا الإيطالية بخطف العذراوات، وقد سمعت العديد من الحكايا عن تجاراتهم الغير مشروعة مما جعل الفكرة برمتها في حينها أكثر منطقية، ولكن ما يثير حيرتها هو محاولة

توريط فرات المقصودة على الأغلب، فأمثالهم ليسوا بتلك السذاجة ليحتفظوا بأي خيط قد يوصل مباشرة لأحد رجالهم ... مهلًا هل بنيت شكوكهم على مجرد كارت شخصي !

- «أتعني أن سبب اشتباهكم في فرات هو ذلك الكارت ؟»

سؤالها بتلك النبرة المستنكرة جعله يبتسم في وجهها بتفهم وهو يومئ نفيًا ،،،،

- «ليس فقط الكارت وإلا كنا استدعيناه في حينها .. ولكن تلك الاختفاءات لم تحدث قبل عودته من إيطاليا كذلك، لقد حاولنا فقط ربط الأحداث ببعضها .. وكل السُّبل كانت تؤدي ببساطة لفرات، وبسبب عدم وجود دليل مادي ملموس يخولنا القبض عليه واستجوابه قررنا اتباع خطتنا الحالية خاصة والهدف كما تعلمين يمتلك شهرة واسعة في مجاله على المستوى الدولي وليس فقط المحلي لذلك وجب علينا التعامل مع الموقف بنوع من الحذر».

تنهدت بهدوء وهي تحرك رأسها بلا معنى، بالفعل كل الطرق تؤدي إليه، وفرات الذي لمست ذكاءه وفطنته في الفترة القصيرة التي قضتها برفقته لن يسقط في مثل ذلك الخطأ لو كان هو المعني بالأمر، ربما لو لم تتعلم لغة الجسد من قبل لظنت أن كل ما قاله في غرفة التحقيقات ولو أثبته بالأدلة القاطعة مجرد خطة ذكية من

داهية يجيد ما يفعله، ولكنها تصدقه وعلى ما يبدو ليست وحدها من تفعل.

- «حسنًا وما المطلوب مني الآن ؟»

ظهر الحماس على ملامحه وهو يرفع سبابته في إشارة صامتة للانتظار، ثم تبعها برفعه لسماعة مكتبه وهو يقول بنبرة حاسمة ،،،،

- «أدخله»

كادت أن تسأله عن هوية من يقصد، ولكن صوت الطرقات المنتظمة على باب الغرفة استوقفتها وهي تسمعه يأذن للطارق بالدخول، المفاجأة التي ظهرت على ملامحها لا تقارن بالصدمة التي ارتسمت على ملامح فرات عندما طالعها تجلس على المقعد المقابل لمكتب النائب بتلك الأريحية

- «ريماس»

نطقه لاسمها بتلك النبرة الذاهلة جعل السيد أحمد يتحمحم مقاطعًا لسيل النظرات بينهما وهو يشير لفرات نحو المقعد المقابل لها ،،،

- «تفضل سيد فرات سأشرح لك كل شئ» .

تقدَّم فرات نحو المقعد وعيناه لا تفارقان وجه ريماس التي استطاعت بشق الأنفس جعل ملامحها محايدة وهي تستقيم بظهرها، تبادله نظراته بثقة وثبات هي أفقر الناس إليه الآن وهي تشعر نحوه بنوع من الذنب.

- «قبل أن أبدأ حديثي سيد فرات، ما سيدور بيننا الآن سري للغاية ولا أريده أن يخرج عن ثلاثتنا بالإضافة لجهاز الاستخبارات الوطنية»

- «ماذا !!!»

جملته الأخيرة جعلت فرات يشعر وكأن أحدهم قد لكمه في معدته بكل قوته، أي جهاز استخبارات يقصد، هل هو ذاك الذي يرأسه رئيس الوزراء ؟ ما الذي يحدث بحق الله !!

***

كم المعلومات التي تلقاها في الساعة الماضية جعلت عقله يعمل بلا هوادة وشعور مقيت بالحزن يتآكله، كيف بحق الله تسربت تلك الفتايات من بين أنامله، لقد كان حريصًا كل الحرص وهو يتابع التقارير اليومية التي يرسلها له الأشخاص الذين استأجرهم خصيصًا لتقصي الأخبار في القرية، يترقبون ما يحدث من حولهم حتى إذا ما تشككوا في أمر إحدى الفتايات يبلغوه على وجه السرعة حتى يستطيع إنقاذها من مصير لا يعلمه سوى الله، عهده

الذي قطعه على نفسه وهي يترك تلك العادات البالية من خلفه، ولكن كيف له أن يراقب القرى المجاورة كذلك، أي عدد من الرجال سيحتاج وكم منزل سيرغب في شرائه ...

استند برأسه على ظهر المقعد بسيارة الأجرة التي استقلها وريماس في طريقهما لمنزله، عيناه مغمضتان بإرهاق، فبعد ساعات من الاستجواب تلاهم تلك المعلومات المرعبة التي ألقاها النائب في وجهه ماذا بحق الله عليه أن يشعر، حال رؤيته لها في مكتب النائب كاد قلبه أن يتوقف من السعادة عندما ظن أن قلقها عليه هو ما دفعها للبحث عنه في كل الأماكن حتى اهتدت لضالتها أخيرًا، إلا أن بعض الظن إثم، فزوجته التي أوهمته بحاجتها للعمل ماهي إلا جاسوسة دفعت بها حكومة بلده لحياته حتى تمسك به متلبسًا بجريمة لم يرتكبها ...

بمجرد أن دلف للمنزل ترنَّح في وقفته مما جعلها تحاول إسناده إلا أنه استطاع موازنة نفسه وقد رفع كفه مستوقفًا لها وهو يتقدم بخطوات وهنة للداخل متجاهلاً يدها الممدودة، ابتلعت ريقها بتوتر وهي تلتفت لتغلق الباب الذي لا تعلم هل نسيه أم أنه فقط لازال حبيس عالمه الخاص، عندما التفتت مجددًا وجدته يطالع ورقة ما للحظة، ثم ما لبث أن ألقاها بإهمال وهو يتهالك على أحد المقاعد دافنًا وجهه بين راحتيه.

رمقته بإشفاق وهي تتقدم لتجلس على أحد المقاعد الجانبية، ولكنها توقفت عندما التقطت عيناها الورقة التي كانت بيده قبل لحظات ملقاة على الأرض بإهمال، لم تستطع منع فضولها وهي تميل بجسدها لتسحبها ثم قرأت بعينيها محتواها

(حبيبي لقد تأخرت وهاتفك مغلق، سأبيت الليلة عند إحدى صديقاتي، قبلاتي ... كاميلا).

كورت الورقة في قبضتها ثم ألقت بها بعيدًا وهي تشتم ملكة الجليد بينها وبين نفسها، جلست على المقعد بصمت ثم ما لبثت أن قطعته وهي تسأله بخفوت ،،،

- «ألا تشعر بالجوع ؟»

أبعد كفيه عن وجهه وهو يتراجع للخلف، يرمقها بطرف عينه بصمت قبل أن يفاجئها بأن انفجر في الضحك، كانت تتأمله بحزن، وكأن حزنه يتردد صداه بين جنبات صدرها، ضحكته كانت تنضح مرارة وألم .. ربما هي لا تعرفه حق المعرفة ولكنها فقط تعلم، توقف عن الضحك أخيرًا لترتسم ابتسامة ساخرة على شفتيه وهو يقول ،،،

- «ماذا، هل أنتِ قلقة علي زوجتي العزيزة، أم أنكِ فقط تريدين بقائي على قيد الحياة حتى تستطيعين الانتهاء من مهمتك ؟»

لم تجبه، ظلت فقط محتفظة بصمتها تطالع سخريته المريرة بإشفاق حاولت إخفائه بقدر استطاعتها كي لا تثير حفيظته، إنه حانق، ناقم، غاضب كالجحيم، كل ذلك قرأته بسهولة على صفحة وجهه الذي تراه شفافًا للمرة الأولى، عندما طال صمتها زفر بخفوت وهو يمد يده لجيب سرواله ليسحب هاتفه فاتحًا له ثم ضغط عدة ضغطات ووضعه على أذنه ليطلب وجبتهما المفضلة .... بمجرد أن أنهى الاتصال التفت بوجهه نحوها، يتأملها للحظات كان الصمت عنوانها ليقطعه أخيرًا بقوله ،،،،

- «تعلمين أنكِ مدينة لي بتفسير أليس كذلك ؟»

ابتسمت بهدوء وهي تومئ إيجابًا، ثم سرعان ما بدأت في الحديث ،،،،

- «لقد كنت أعمل في القاهرة كحارسة خاصة لأحد الوزراء (تحت التغطية) وقبل أن تسألني عن معناها سأخبرك ... لم أكن ضمن الحراسة الرسمية ولكني كنت أعمل متخفية».

حسنًا تلك هي المرة الأولى التي يسمع بها عن عمل كذاك، ولكن على ما يبدو هناك الكثير مما يجهله، رآها تسحب نفسًا عميقًا زفرته بخفوت ثم استطردت ،،،

- «قد تقابلت ووزير الخارجية التركي عندما حضر للقاهرة للقاء رب عملي الذي اختارني لأكون مترجمته الخاصة في حينها»

حثها بإيماءة من رأسه فتابعت...

- «بعد أسبوع فقط من وصولي لتركيا لأستقر بمنزل جدتي فوجئت بقدوم السيد أحمد وإخباره لي بأنه وبسبب الأوضاع الأخيرة يتم التدقيق في قوائم المسافرين إلى تركيا من قِبل جهاز الاستخبارات الوطني وعندها تعرف علي وزير الخارجية اقترح عليهم مشاركتي في المهمة خاصة عندما علموا من مصادر بداخل منزل أبويك بأن والدك قد انتوى اختيار زوجة لك من العائلات الكبرى في القرية».

مال فرات بجسده للأمام وهو يستند بكلا مرفقيه على ركبتيه ليقول بتقرير ،،،،

- «لذلك تقدمتي قبلها للعمل في الشركة كي أتعرف عليكِ عندما أراكِ وأختارك من بينهنّ»

حركت رأسها إيجابًا بصمت فاستطرد متسائلًا ،،،

- «وما الذي ضمن لكِ أنني سأقترح فكرة صفقة الزواج تلك ؟»

هنا ضحكت ريماس بخفوت

- «ذلك تحديدًا كان سؤالي للسيد أحمد الذي أخبرني أنك لن تقبل بفرض رغبة والدك عليك وإن قبلت بالزواج، ثم إنني لست بحاجة لضمان، صدِّق أو لا تصدق أنا أستطيع الدفاع عن نفسي جيدًا»

هنا كان دور فرات ليضحك وهو يحرك رأسه يمينًا فيسارًا، كيف فاته أنها كانت حارسة شخصية لأحد رجال الدولة ببلدة أبيها، وعلى الرغم من هيأتها الأنثوية إلا أنها وبالطبع تمتلك من المهارة ما يجعل جهاز الاستخبارات القوي لبلده يختارها دون غيرها للقيام بتلك المهمة، لاحظ انعقاد حاجبيها بتفكير وهي تتأمله، وكأنها تريد سؤاله حول شئ ما .. ربما تشعر بنوع من التردد أو ... ولكنها على ما يبدو قد حسمت أمرها أخيرًا وهي تقول ،،،،

- «ما سبب اهتمامك بانقاذ فتايات بلدتك فرات، ربما عندما سمعت حديثك في وقت سابق أوعزت الأمر لكونك تتمتع بالشهامة الكافية لتفعلها، ولكني عندما رأيت حالتك عندما علمت أنه بالفعل قد تم تهريب بعض الفتايات للخارج، لاحظت أن هنالك ما هو أكثر عمقًا مما أفصحت»

لاحظت انعقاد حاجبيه بشدة وهو يعتصر كلا قبضتيه حتى ابيضت مفاصلها، ولكنها لن تستسلم، ليس الآن على أيه حال.

- «هيا فرات لقد أخبرتك بأسراري للتو يا رجل»

لم يبتسم، بل لقد زاد انعقاد حاجبيه وقد علا صوت ضغطه على أسنانه ... ورغم عزمها السابق إلا أنها شعرت بنوع من الحرج، ربما يحتاج لبعض الوقت، ربما ذلك السؤال أتى في توقيت سئ للغاية، لذا عدلت عن فكرتها السابقة وهي تميل بجسدها للأمام لتقف عن مقعدها قائلة بعد زفرة استسلام ،،،،

- «حسنًا سأبدل ملابسي ثم أعود قبل أن يأتي عامل التوصيل»

عندما كادت أن تبتعد شعرت بقبضته التي التفت حول رسغها مستوقفة لها وعندها أتاها صوته وهو يقول بنبرة مختنقة ،،،،

- «أختي الوحيدة»

اتسعت عينيها وهي تقترب لتجلس على الطاولة أمامه، تقرأ الحزن الدفين بمقلتيه بقلب راجف وأنفاس محبوسة من شدة الترقب.

- «لقد أحبت شاب من بلدتنا وهي بالسادسة عشر وأحبها الشاب في المقابل، لقد كان أحد المزارعين في أراضي والدي،

تقدم لخطبتها ولكن طلبه بالطبع قوبل بالرفض بسبب الفرق الإجتماعي الكبير بين أسرتينا، بكت أختي كثيرًا وتوسلته مرارًا، ولكن دعي عنك فكرة أن يرق قلبه لتوسلات صغيرته، لقد اتفق وأحد الأغوات على تزويجها لولده، أغلق في وجهها كل السبل إلا من سبيل واحد أهداها إليه يأسها وهو الانتحار»

ثم رفع عينان تترقرق فيهما الدموع نحوها وهو يقول بلوعة بينما يضرب موضع خافقه بقبضة مضمومة ،،،،

- «تلك العادات البالية قتلتها، جبروته وتعنته أزهقوا روحها بدم بارد، لقد كنت أكثر جبنًا من مواجهة عجزي ريماس .. لذا تركت والدتي خلفي وقد عزمت أمري، أن لا أعود يومًا إلا وأنا قادر على حماية من هم مثلها علها تسامحني في يوم على تخاذلي».

كلماته تردد صداها في خافقها، الدموع الحارة تلسع مقلتيها وهي تتخيل اليأس الذي استشعرته تلك المسكينة حتى قررت أن تنهي حياتها بنفسها، ضمائر غائبة وعادات بالية أودت بحياة الكثيرين، هل ظنته من قبل مجرمًا وجب التخلص من أمثاله ؟ وهل يليق بمثله وصف كذاك ؟ ضحية أخرى من ضحايا العادات الفاسدة التي دمرت أجيال بلا رحمة، تعنت الكبار الذي دمر حياة صغارهم، ولكنه على الرغم من ذلك حارب ببسالة في وجه الضمائر النائمة، دعوة صادقة أرسلتها لفقيدها الذي لم يجبرها يومًا على ما لا تحب،

لا تعلم من منهما اندفع نحو الآخر ولكن كل ما تعرفه، إنها ها هنا على صدره وبين ذراعيه تبثه الطمأنينة وتشاركه الرِّثاء، يتوسلها أن تدنو وتلبي هي دون وعي النداء.

***

الفصل السادس

الجميع الآن تحت المجهر، ولا أحد بعيد عن دائرة الشك، لطالما كانت الحياة معلمها الأول، وهي التلميذة النجيبة التي دأبت على أن تكون أول الحاضرين، تحتل الصفوف الأولى علها تتلمس المعرفة من حكمة معلمها، لتلون صفحاتها البيضاء بحبر اليقين، ربما هي الآن الأكثر حكمة، خاصة وعلاقتها تكاد تكون سطحية بالجميع من حولها ... على من تكذب، قد يكون ذلك هو تفكير فرات، ولكنها وبكل تأكيد لا تخضع لتلك القيود البائدة التي لا تثمن ولا تغني من جوعٍ، فكم من خبيث التحف ثوب الصديق ومن تحته توارت ألغامًا تنتظر الوقت المناسب للانفجار، ولكن رغم ذلك كله هناك شخصية وحيدة تضع حولها دائرتها الحمراء (كاميلا) ربما لا يتفق معها فرات وتلك الفكرة ورغم استيائها الغير معلنٍ من دفاعه المستميت عن كاميلا إلا أنها لا تلومه، لقد تقربا كثيرًا في الفترة التي تلت اكتشافه لحقيقتها، يحادثها عن حياته السابقة

وتحادثه عن خاصتها في المقابل، لم تعد تتجنبه كالسابق وقد أصبحا نوعًا ما صديقين جمعهما القدر بدون موعد ليصيرا بعد أن كانا خصمين شريكان في الفريق ذاته.

- «حسنًا وضعتِ جهاز تعقب في سيارتها وماذا بعد ؟»

حرّكت كتفيها بلا مبالاة مصطنعة وهي تضع ساق فوق الأخرى، لماذا بات ذلك الشعور الغريب بالضيق يعاجلها كلما أتى على ذكر تلك الدمية الملونة

- «لا شيء، فقط سنراقب وننتظر»

- «بحق الله ريماس لا أجد سببًا منطقيًا لتشتبهي بها، ألم تلاحظي بهوتها عندما رأت الدماء تقطر من قبضتي !!»

- «تقصد برودتها ؟ نعم لاحظت»

قالت جملتها الأخيرة بابتسامة سمجة وهي تقلب دون رؤية في كومة الأوراق الممسكة بها .. هل يحبها ؟

يا الله ما الذي أصابها، لماذا تشعر بتلك الوخزة اللعينة في أيسر صدرها، يحبها أم لا ذلك ليس بشأنها أو ما أتت لأجله من الأساس، ربما باتا مؤخرًا يعزفان على نفس الوتر، ولكن حالتها تلك لن تنتج عنها معزوفتها الحماسية كما تأمل بل ستهدد بانقطاعه وعندها

ستفقد السيطرة على زمام الأمور ... إعقلي ريماس هل صدقتِ بأنه زوجك

عيناه لم تفارقا ملامحها طوال فترة حديثهما، بل منذ تلك الليلة التي توسَّدت فيها صدره، من كان ليصدق أن فرات الأغا قد يبكي كطفل صغير فقط لكونه قد وجد سكنه بين ذراعيها، نعم ذلك هو التعريف الصحيح لحالته في حينها، أناملها الرقيقة التي لازال يستشعرها حتى تلك اللحظة تداعب خصلات شعره وهو مستكين برأسه على كتفها، لن يكذب لو قال أنه استشعر وقتها الأمان الذي افتقده في رحاب صدر أمه، ففي عرف قريته ومن قبل أن يبلغ الشاب الحلم يحرم عليه حضن والدته وقد صار رجلًا، والضعف أبدًا ليس من شيم الرجال، خلفًا لوالد لا سلطان عليه سوى لعقله ولا مرجع لديه سوى قوانينهم البائدة ... من قال أن الحاجة للاحتواء ضعف، كيف توصف حالة تكلك بالضعف وقد أودعته كل القوة، لطالما كان مسيطرًا في علاقاته، وهو لن ينكر أن ذلك قد أشعره ببعض القوة، إلا أنها لا تقارن بما بثته بداخله تلك اللحظات المسروقة من زمان ضن عليه بلحظاته.

- «حقًا فرات لقد سئمت من هؤلاء المزعجين»

أفاق من شروده عندما اقتحمت نارين الغاضبة الغرفة ومن خلفها صديقاه، يتبادلان النظارات المتسلية فيما بينهما وهما يشيران نحو الورقة التي تمسكها بين أناملها، حسنًا ما الذي فعلاه تلك المرة.

- «ماذا فعلا ؟»

التفتت لتخرج لسانها نحوهم بطفولية وهي تتحرك بحماس مقتربة من مجلس فرات، ثم وضعت الورقة التي بيدها أمامه على المكتب ،،،

- «هاك انظر لذلك التصميم، منذ أن أخبرتنا بفكرة روايتك القادمة وأنا أحاول تصميم غلاف مناسب لها، حسنًا ربما يكون مغايرًا للفكرة العامة للغلاف المتفق عليها، ولكني أراه الأنسب وهذا بالطبع لم يعجب هذان الغليظان»

ألقت ريماس نظرة فضولية نحو التصميم، ولكن فرات قاطعها وهو يرفع الورقة عن سطح مكتبه ليطالعها عن كثب، ربما فعلًا التصميم مختلف عن الرؤية الرومانسية لفكرته والتي بدَّلها مؤخرًا بأخرى يتخللها بعض الحركة، ولكنه للحق أعجبه، رفع حاجبه وهو ينظر نحو صديقاه اللذان رفعها إبهامهما خفية عن عينا نارين المتحرقة لمعرفة رأيه، ابتسم وهو يحرك رأسه ثم مال بجسده ليناول ريماس التصميم حتى تقيمه بدورها، هذان الغبيان مصران على استفزاز صديقته وكأن تلك هي تسليتهم الوحيدة.

- «رائع نارين لقد أعجبني، بل أعجبني جدًا في الواقع»

أسرعت نارين بسعادة نحو ريماس لتطبع قبلة طويلة على وجنتها، ثم نظرت لصديقيها اللدودان من فوق كتفها نظرة انتصار بمعنى (أرأيتم).

- «ما الذي أعجبك في التصميم تحديدًا سيدة ريماس ؟»

قالها فرات وهو يضم كفيه أمامه على السطح الزجاجي لمكتبه، بينما يرفع كلا حاجبيه بتحدي يعلم أنها لن تتملص منه.

- «حسنًا أنا أرى أن البطلة هي الشخصية الرئيسية في الرواية ومن المنطقي أن تكون في واجهة الغلاف، قوة شخصيتها تنبعث من عينيها وذلك أكثر ما أعجبني، لا أميل للأغلفة التي يتعانق فيها البطلان بلهفة، وللحق أراها مقززة بعض الشئ».

- «تتقززين من العناق !! حقًا لا تعلمين ما الذي تفوتينه هنا ريماس».

قالها كرم الذي اتسعت ابتسامته وهو يرمق فرات بإشفاق مصطنع، غافلًا عن النظرات المستترة التي تبادلها كل من فرات وريماس وكلاهما يعودان لتلك اللحظة الفارقة التي ورغم مرور أيام لازالت موسومة بجمر شوق غير معلن في عقليهما.

***

- «ما رأيك فرات هل أعجبك ؟»

دارت كاميلا حول نفسها فاتحة ذراعيها بأناقة وهي تعرض فستانها أو إن صح القول قطعتي القماش شديدتي القصر واللاتي تكشفان أكثر مما تخفيان على فرات، لا تعلم سبب رغبتها القوية لمعرفة رده على سؤال غريمتها ... غريمتها !! من أين خرجت تلك الفكرة اللعينة الآن ؟

نظراته كانت تقييمية لا تخلو من ابتسامة إعجاب ذكورية جعلتها تشعر برغبة ملحة في محو تلك الابتسامة اللعينة عن وجهه، يتأمل تلك الدمية الخزفية من رأسها لأخمص قدميها وكأن ذلك هو الشئ الوحيد البديهي في الكون بأثره، ابتلعت ريقها بترقب وهي ترمقهما من فوق كتابها الذي لم تعد توليه أية انتباه بينما تعض على باطن وجنتها بغيظ مكتوم.

- «رائعة كاميلا كعادتك حقًا الأزرق يبرز لون عينيكِ بشكل فاتن»

- «أووه شكرًا حبيبي»

كان ذلك رد كاميلا وهي تضم كفيها أمام صدرها بتأثر قبل أن تلقي بجسدها الهذيل نافر العظام على صدره، تحتضنه بتملك، تقبله كما اعتادت، دون حرج أو مراعاة لتلك التي تجلس على المقعد المقابل لهما مدعية الالتهاء في القراءة، والتي تشعر في تلك

اللحظة بالحرارة تنبعث من كامل جسدها ورغبة ملحة لسحب تلك الساحرة من شعرها، ثم تشييعها بركلة من قدمها لعصا مقشتها السحرية إلى بلدها.

أبعدها فرات عنه برفق وهو يبتسم لملامحها بتوتر بينما يختلس النظرات نحو تلك التي رفعت الكتاب لمستوى مبالغ به مدعية القراءة، غير مدركة لاعتصار أناملها لدفتي الكتاب المسكين، لقد فوجئ برد فعل جسده الغريب عندما ألقت كاميلا بنفسها بين ذراعيه، لا رغبة، لا شوق، ولا لهفة .. فقط شعور بالغرابة ورغبة ملحة في الابتعاد، إلا أن فضوله اللعين حول رد فعل ريماس حال دون تصرفه وفقًا لرغبة جسده تلك،

- «عزيزتي ليس هنا، لدينا ضيفة كما تعلمين»

- «أووه»

ذلك وفقط كان رد كاميلا المختصر وهي تبتسم بسماجة نحو ريماس التي أزاحت الكتاب وهي تبتسم ابتسامة واسعة لم تصل لعينيها وهي تقول ببساطة تواري خلفها ألسنة اللهب التي تهدد بإحراقهما سويًّا ،،،،

- «لا لا ما الذي تقوله يا رجل، أتقصد رجل الأريكة الجالسة ها هنا، استمرا استمرا سأحملها لغرفتي حتى لا تقاطع التحامكما الملتهب»

ثم وقفت عن مقعدها وهي تتحرك بخطوات حانقة نحو الدرج بينما تقول من بين أسنانها ،،،

- «إن شاء الله ستلتهبوا سويًّا في جهنم»

لم تنتبه أو ربما لم تهتم بأن صوتها بتلك النبرة الغاضبة قد وصل لفرات واضحًا، مما جعله يبتسم بتسلية وهو يشعر برغبة قوية في اللحاق بها، لتهدئتها، ربما حينها تكافؤه بضمة تعيد له صوابه الذي كاد أن يفقده من تجاهلها لمشاعرها التي يعلم أنها تذود عنها الآن بكل قوتها.

تنبّه أخيرًا لكاميلا التي ترمقه بملامح غير مقروءة، ابتلع غصة استحكمت في حلقه، ما ذنبها، ربما هو يعلم أنه لم يحببها يومًا، ليس بتلك الطريقة التي لطالما هفت لها نفسه، ورغم ذلك لن يستطيع أن ينكر دعمها له منذ أن تعرَّفت عليه بعد أن قرأت خواطره التي كان ينشرها على موقع التواصل خاصته، ثنائها على جمال كلماته تبعه حديث مطول حول أحلامه التي جعلتها واقعًا عندما عرفته على أنطونيو، أحد أصدقاء والدها وصاحب دار من أكبر دور النشر بإيطاليا، هو حقًا ممتن لها ولكن هل الامتنان كافيًا وقد وجد أخيرًا نصفه المفقود.

***

طرقات منتظمة على باب غرفتها جعلتها تعتدل في جلستها، فمنذ وطأت قدمها ذلك المنزل لم يحاول أحدهم قطع خلوتها إلا لمامًا ودائمًا ما يكون فرات يدعوها للعشاء، هل تذكرها أخيرًا بعد أكثر من ساعة وهي جالسة كالمأفونة تحادث جدران غرفتها، عقدت ذراعيها بحنق أمام صدرها وهي تشمخ بأنفها دون رد.

- «ريماس هل نمتي !»

أشاحت بوجهها لجهة النافذة ومجددًا دون رد، ولكنها رغمًا عنها تشعر بحالة من الترقب لرد فعله على تجاهلها لندائه خاصة ونور غرفتها المضاءة دليل أكثر من كاف على أنها لم تنم بعد.

- «حسنًا سأفتح الباب»

- «إيَّاك»

هتفت بها وهي تقفز عن الفراش لتستند بظهرها على باب الغرفة، وكأنها بتلك الطريقة ستمنعه من الدخول، ألم يسمع ذلك اللعين بشئ يسمى مفتاح لأبواب الغرف.

- «ريماس حقًا مللت من الجلوس وحيدًا»

- «ماذا !!»

قالتها وهي تفتح الباب بغته، تنظر من خلفه وكأنها بتلك الطريقة ستهتدي لضالتها

- «أين باربي ؟»

عض فرات على شفته كاتمًا ضحكته ولكن حركة كتفيه الرتيبة كانت تكفيها لتقول بغضب وهي تتخطاه لخارج الغرفة ،،،

- «ألم نتفق على أن تخبرني كلما علمت بخروجها لمكان ما ؟ أين ذهبت هل أخبرتك ؟»

حرَّك رأسه نفيًا مما جعلها تزوم وهي تعود بخطوات سريعة نحو غرفتها، سحبت حاسوبها ثم بدأت في تحديد موقع سيارتها التي كانت الآن متوقفة في أحد المناطق الشهيرة بالنوادي الليلية باسطنبول، أغلقت الحاسوب ثم تناولت هاتفها لتعبث به في حين أن فرات قد عقد بين حاجبيه وهو يسألها بفضول ،،،،

- «ما الذي تفعلينه ؟ ألم تحددي موقعها للتو عن طريق حاسوبك السري ذاك ؟»

أومأت إيجاباً دون أن ترفع عينيها عن شاشة هاتفها، ثم ضغطت ضغطة أخيرة لتتسع ابتسامتها وهي تعرض عليه شاشته ،،،

- «فقط للتأكد أضفت رقمها للمشاركة العائلية على هاتفي»

اتسعت عيناه وهو يقول بذهول:

- «هل تعلمين رقم هاتفها السري ؟»

حرَّكت رأسها نفيًا مما جعله يعقد ما بين حاجبيه، دارت بمقلتيها بملل في محجريهما وهي تزفر بنفاذ صبر:

- «حسنًا فرات إمَّا الرقم السري وإمَّا البصمة هل يعمل عقلك أم أنه أثمن من أن ترهقه بالتفكير»

- «بالطبع الخيار الأول، ولكن كيف استخدمتِ بصمتها أنا حقًا لا أفهم»

هنا ابتسمت وهي تشمخ بأنفها ثم تجاهلته وهي تقف عن الفراش لتتحرك لخارج الغرفة وهي تقول من فوق كتفها ،،،،

- «حسنًا سيد روميو هلا طلبت البيتزا»

***

- «لقد اتلهمتي البيتزا الخاصة بكِ وتبعتيها بنصف خاصتي وشربتي نصف زجاجة كاملة من المشروب الغازي لدرجة أني أشعر بأن مؤخرتك الآن لا تلامس المقعد من الأساس، هلا تكرمتي وشرحتي لي كيف بحق الجحيم حصلتي على بصمتها»

ابتسمت له بسماجة من خلف المحرمة الورقة التي كانت تمسح بها فمها، ثم ما لبثت أن صوبتها نحو سلة المهملات وهي تعود لتواجه ملامحه بينما تميل برأسها للجانب ،،،،

- «تريد أن تعرف سر المهنة ها ؟ جيد إذن ما رأيك في تبادل للمعلومات، أمنحك سري وتجيب على سؤالي في المقابل ؟»

حرَّك رأسه إيجابًا دون تفكير ثم انتظر، ولكنها لم تبدي أي رد فعل، فقط تطالعه بصمت وكأنها تنتظره في المقابل، ولكن ماذا تنتظر؟، رفع حاجبه بتساؤل وعندها انفجرت في الضحك وهي تمسك معدتها قائلة من بين ضحكاتها ،،،،

- «ما بك فرات هل كان سيصعب علي تخديرها ببساطة وفتح هاتفها بإصبعها نفسه»

عض على شفته بحنق وهو يكور قبضته في وجهها وكأنه يريد أن يلكمها، ولكنه عدل عن الفكرة وهو يدفعها بخفة في كتفها قائلًا من بين أسنانه ،،،

- «لا إجابات لكِ عندي يا مخادعة»

- «وماذا فعلت أنا، لقد سألتني وأنا أجبتك بكل شفافية، وها قد أتممت الشق الخاص بي من الاتفاق وحان دورك»

ابتسم لحماسها الذي راق له، راق له كثيرًا في الواقع، فتلك النارية تشعل بداخله بركانًا ظن أنه قد أُخمد منذ سنوات طوال.

- «حسنًا»

دفعته بيدها برفق ليفسح قليلًا ثم عقصت قدميها أسفلها وهي تقول ،،،

- «ربما يكون تصريحًا أكثر منه سؤال، ولكني سأقوله ورزقي على الله»

تلك البداية لا تبشر بالخير، ولكن هل بإمكانه إيقافها الآن وهي تبدو متحمسة لما ستقوله بتلك الطريقة التي أشعلت فضوله كذلك !! ابتسم وهو يحرك رأسه موافقًا فقالت مباشرة ،،،

- «مما سمعت عن الطبائع القروية هنا فإن رجالها حازمين بطريقة قد تصل للتطرف أحيانًا فيما يخص نساءهم، ولكني أراك مغاير لكل ما سمعته، السؤال هنا ... هل ذلك هو نتاج سنوات قضيتها في بلاد الغرب ؟»

ربما قد بالغت قليلًا في دفعه بتلك الطريقة، ولكنها لازالت غاضبة ولا سبيل لإخماد ثورتها الداخلية إلا بإغاظته بتلك الطريقة، وربما هي تتساءل بالفعل حول كيفية تقبله لسهر حبيبته كل يوم تقريبًا حتى الساعات الأولى من الصباح دون أدنى اعتراض منه،

ولكنها الآن وفي تلك اللحظة كل ما تريده هو إغضابه ولمفاجأتها لم يغضب بل قطب حاجبيه بتفكير .... بحق الله فيما يفكر الآن، ألم يغضب من سؤالها الذي يمس رجولته بشكل مباشر، رفع عينيه أخيرًا لتقابل خاصتها بينما التمع شئ خفي في عمقهما لا تدري كنهه وهو يجيب على سؤالها بسؤال آخر:

- «ما الذي تعرفينه عن الحب ريماس ؟»

ماذا ؟ من أين خرج ذلك السؤال الآن وما علاقته بحديث...، أووه لقد تناست تمامًا أنه كاتب الرومانسية الشهير، بالطبع سيصرعها الآن بحديثه عن التضحية بالغالي والنفيس من أجل سعادة الطرف الآخر وتلك العبارات التي لاحظت تكررها في كتاباته، وهي لا تريد الآن على وجه التحديد أن تخوض معه مثل ذاك الحديث، لذا رفعت كفيها باستسلام أمام وجهها:

- «لقد وصلت إجابتك سالمة»

- «أجيبي عن سؤالي ريماس»

قالها بنفاذ صبر وهو يتفحص في ملامحها، يحثها بعينيه قبل كلماته على إجابة سؤاله، ولكن ما يجهله حقًا هو أنها لم تفكر أو لم تحاول التفكير في تعريف للحب من قبل، لم تكن يومًا ممن تجذبهم قصص

العشق والغرام، لم تمتلك يومًا مشاعر مرهفة أو حلم بفارس همام يخطفها على حصانه الأبيض كما أخبرتها صديقتها مرارًا.

طال صمتها وسئم انتظاره لما ظهر جليًا على صفحة وجهها بأنه لن يأتي مهما بلغت درجة صبره، أغمض عينيه لوهلة وهو يسحب نفس عميق ثم فتحهما بزفرة طويلة ،،،،

- «حسنًا سأجيب أنا، الحب بالنسبة لي احتواء، احتياج واجتياح، امرأة هي نصفي ووليدة ضلعي، فأنا أؤمن أن لكل آدم حوائه، خلقت لأجله وخلق لأجلها، روح واحدة شطرت لنصفين فقدا بعضهما منذ بدء الخليقة، فقط الأوفر حظًا من يكافئه القدر بالعثور على شريك روحه».

كان يقترب منها مع كل كلمة تغادر شفتيه، أنفاسه الحارة تداعب بشرتها، أنامله التي امتدت لتلامس وجنتها أرسلت بشرارات كهربية دغدغت كامل حواسها، وهي الذائبة في لون القهوة بعينيه وقد ارتج عالمها كله، أغمضت عينيها تحاول الفكاك من تلك التعويذة التي ألقاها عليها .... ليهمس أخيرًا وقد امتزجت أنفاسه بخاصتها.

- «أنا أعلم أن كاميلا ليست نصفي ريماس، ولكن هل نصفي العنيد يدرك من أكون له !!»

فتحت عينيها دفعة واحدة ومقصده يصلها واضحًا دون التباس، كالتفاحة المحرمة التي سقطت في حجرها، تدعوها لتذوقها، تغريها بنضارتها، وترهبها من فكرة إدمانها .... وقفت بسرعة عن المقعد وهي تطالعه بمشاعر ممزقة، ما بين الرغبة والإعراض، الاعتراف والإنكار، ضائعة ما بين عقل وقلب كلاهما زاهد في هوى الآخر .. تمامًا على عكس الأخير الذي وعلى ما يبدو قد حسم قراره، ولكنه يخشى الآن من تباعدها، نارها التي خمدت فجأة .. ترى هل سيذوبان سويًا ليعودا ويندمجا في كيان قدر له أن يكون واحدًا أم سيكون كنافخ الكير الذي اقتصت الأيام منه بإحراقه.

***

الفصل السابع

لا تعلم متى استبد بها إرهاق ليلتها السابقة ليتلقفها سلطان النوم مصطحبًا لها صوب جزيرة الأحلام الوردية التي تطأها قدمها للمرة الأولى، فبعد صراع الأمس بين عقلها الرافض وقلبها الذي أعلن أخيرًا العصيان، لم تجد بدًا من الوقوف ممزقة ما بين الممنوع والمرغوب أمام عيناه الراجيتان، قدماها تعاندانها وعقلها الصلد أبى عليها الإستسلام ... دبيب أقدامها على درجات السلم يعزف مقطوعة عنوانها التمرد على قرع طبول الحرب التي تصم الآذان، ساعات قضتها حبيسة جدران غرفتها تتلمس منها الدعم الذي هي بأمس الحاجة إليه، ونفسها تتسرب كحبات اللؤلؤ المفروط من بين أناملها، تتدحرج على أرض ملساء مناشدة مستقرها، تنادي على رباطة جأش طالما كانت لها .... ولكن العنيدة أبت والتحفت ثوب الجبناء.

بصعوبة فرقت بين جفونها وصوت الطرقات على باب غرفتها ينتشلها من ثمالتها بكأس النوم الذي انتشت له حواسها، شتمت من بين أسنانها وهي تترجل عن الفراش، تترنح في مشيتها كالمخمور وهي تقترب من باب غرفتها فاتحة له ،،،،

- «ريماس لقد استيقظت للتو على رسالة غريبة من كاميلا، ومن وقتها وأنا أحاول الاتصال بها ولكن هاتفها مغلق»

كمن قذف بدلو من الماء البارد فجأة فتحت عينيها على اتساعهما والإدراك يعاودها بقوة، ضغطت على قابس الضوء المجاور للباب قم تحركت بخطوات واسعة نحو حاسوبها لتفتحه وهي تخطو به نحو فراشها، اقترب فرات بخطوات مشابهة ليحتل البقعة المجاورة لها في الفراش وعيناه تتابعان ما تفعله أناملها بينما عقله يحاول استيعاب سبب تلك الرسالة الغريبة، ما الذي أصابها فجأة لتقطع علاقتها معه برسالة نصية.

- «لقد تم فصل جهاز التتبع»

رمقها بذهول وهو يحاول استيعاب فكرة توقع كاميلا لوجود جهاز تتبع في سيارتها، هل من الممكن أن يصدق حدس ريماس بشأنها ؟ ، مالت ريماس بجسدها بسرعة لتسحب هاتفها الذي عبثت به قليلًا قبل أن تقول بأزيز غاضب وهي تلقيه على الفراش ،،،

- «وهاتفها آخر ظهور له من نفس المكان السابق»

تبادلا النظرات الوجلة للحظات ما لبثت أن قطعتها ريماس وهي تضع حاسوبها جانبًا لتقفز عن الفراش ،،،

- «هيا فرات ارتدي ملابسك سريعًا»

حرك رأسه بموافقة ثم هب واقفًا وهو يتحرك بخطوات واسعة نحو باب الغرفة، ولكن سؤالها المباغت جعله يتوقف وهو يلتفت ليواجهها وعلامات التوتر بادية على ملامحه.

- «ما محتوى الرسالة ؟»

- «لقد قالت أننا لا نصلح لبعضنا وتمنت لي حياة سعيدة»

***

بمجرد أن توقفت سيارة فرات ترجلت عنها سريعًا وهي تتقدم نحو باب الملهى الأقرب للمكان الذي يشير إليه آخر ظهور لهاتفها .. ولكنه كان مغلقاً، حاولت فتح الباب دون جدوى مراراً لتلتفت أخيرًا وهي تواجه فرات رافعة كتفيها بإحباط، بالطبع ذلك المكان لن يستمر في العمل حتى ذلك الوقت، حتى وإن كان اليوم عطلة رسمية، ولكن أين ذهبت ؟ وما الذي حدث فجأة لتقطع علاقتها بفرات عن طريق رسالة هاتفية لعينة، ورغم شعورها الخائن

بالسعادة لمجرد فكرة انفصالهما إلا أنها تشعر كذلك بالارتياب، ارتياب في هدف على ما يبدو يحاول الإفلات من قبضتها، كيف بحق الله علمت بشأن جهاز التتبع وقد أخفته جيدًا، بخطوات غاضبة أخذت تتلفت حولها في محاولة يائسة للبحث عن سيارة كاميلا، رغم تشككها في كونها موجودة في تلك البقعة من الأساس، تسمع صوت وقع أقدام فرات على الطريق الأسفلتي من خلفها وهو يتبعها بصمت، توقفت أخيرًا وهي تتلفت حولها واضعة كلا كفيها على جانبي خصرها، تدور بعينيها في الطريق الجانبي الخالي من المارة، تتشارك وفرات البحث عن ضالتهما دون فائدة ترجى، أين تلك السيارة اللعينة الآن !!

طحنت أسنانها بغضب وهي تتوجه نحو الرصيف المجاور لتتهالك عليه بإرهاق، تعتصر هاتفها بين أناملها حتى كادت أن تهشمه في قبضتها، هل صدق حدسها حول كاميلا أم أنها فقط وجدت الجهاز بالصدفة لسبب ما وظنت أن فرات ربما لا يثق بها، ربما تكون تلك الفكرة هي الأكثر منطقية بالنظر لكلماتها في الرسالة، خللت أنامل يدها الحرة في شعرها وهي تتلفت حولها بضياع ثم عاودت الوقوف من جديد وبدأت في التحرك نحو باب الملهى الخلفي، ستكون تلك آخر محاولاتها لإثبات عكس كل ما ينبؤها به حدسها وإلا ....

توقفت على أعقابها وعيناها تلتقطان فجأة المظروف المنتفخ والملقى بإهمال بجوار الباب الخلفي للملهى، تأهبت كل حواسها وقد انتصبت الشعيرات القصيرة على مؤخرة عنقها وهي تتقدم بخطوات سريعة نحوه ثم مالت بجسدها لتمسك به، اعتدلت في وقفتها وهي تلقي بنظرة سريعة نحو فرات الذي على ما يبدو قد انتبه لها، نقلت عينيها بين نظراته الفضولية وبين المظروف بين أناملها ثم بدأت في فتحه، اتسعت عيناها رغم ارتيابها السابق بصدمة حقيقية وهي تخرج محتوى المظروف، لقد كان بداخله جهاز التعقب الذي وضعته بنفسها مصحوبًا بكلمات ساخرة خطت على ورقة صغيرة بداخله وبلغة إيطالية أنيقة:

(هل ظننت أنك ستستطيعين الإيقاع بي، هنيئًا لكِ عزيزتي بغبائك)

سحب فرات الورقة بسرعة من بين أناملها وهو يدقق النظر في الأحرف الأنيقة والمميزة التي يعرفها حق المعرفة، ثم ما لبث أن رفع عينان متسعتان عن آخرهما نحو ريماس وهو يقول بصدمة واضحة ،،،،

- «إنه خط كاميلا»

اللعينة لقد استطاعت الفرار من قبضتها، وليست تلك هي الكارثة فحسب .... لقد كشفت هويتها كذلك !!

***

بمجرد أن أغلقت الاتصال مع السيد أحمد أخذت تتحرك جيئة وذهابًا دون هوادة، لا تجد سبيلًا واحدًا لتهدئة نفسها رغم محاولات فرات الذي وبرغم انزعاجه من سير الأحداث وصدمته البالغة في فتاة عرفها لأكثر من ثلاثة أعوام إلا أنه يبدو متماسكًا بطريقة مثيرة للإعجاب، عقلها اللعين لا يكف عن تذكيرها بإخفاقها السابق، فشلها في حماية مرؤوسها والذي أدى إلى مقتله على يد عصبة من المتطرفين، وبرغم محاولاتها الماضية لإقناع نفسها بأن الخطأ لا يقع على كاهلها وقد حاولت إيقاف الموكب قبل أن تقع تلك الكارثة التي تركتها وحيدة، عاجزة، عاطلة عن العمل، إلا أنها ببساطة لا تستطيع الآن الخروج من دائرة الفشل التي تصر على ابتلاعها وقد خسرت للتو هدفها.

- «اهدئي ريماس حتى نستطيع التركيز»

هو نفسه عاجز عن استيعاب صدمته في كاميلا، ولكن الوقت لا يمنحهم مثل تلك الرفاهية وهناك الكثير من الأرواح على المحك، لا أحد يعلم أي مصير كان في انتظار تلك الفتايات فور وصولهم

لوجهتهم ولا حتى حكومة بلده، شعور بالخيانة يوغر صدره مصاحباً لشعور آخر لعين بالغباء، كيف خدعته بتلك الطريقة، لقد كانت المشتبه به الأول من وجهة نظر ريماس نظراً لكونها الإيطالية الوحيدة القريبة من محيطه، إلا أنه وبكل سذاجة استنكر ذلك، بل وقد عزم أمره بالأمس فقط على إخبارها بحقيقة مشاعره نحو الأخيرة والانفصال بهدوء حتى يتسنى لها النجاة من براثن لبؤته الشرسة ... كيف كان أعمى لتلك الدرجة !!

- «حسنًا فرات لقد خطرت لي فكرة»

اعتدل في جلسته وهو يواجها بتركيز عندما لاحظ ضوء الحماس الذي أخذ يتسلل على استحياء لملامحها المرهقة

- «وما هي ؟»

- «قبل أن أخبرك ما هي، هل تستطيع توفير شقة على الطريق المؤدي للقرية التي اختفى منها أكبر عدد من الفتايات ؟»

أومأ لها إيجابًا والإدراك يتسلل إليه على مهل حتى اتسعت عيناه أخيرًا وفكرتها تصله كاملة دون الحاجة للسؤال، لقد ظلت طوال الفترة الماضية تتابع الهدف المحتمل، وتلك الطريقة لم تقدم لها سوى إخفاق تلو الآخر، لماذا إذا لا تغير طريقتها وبدلًا من أن

تلاحق الجاني تلاحق الضحية، تلك هي فرصتهم الوحيدة خاصة بعد تأكدهم من تورط كاميلا.

- «خطة رائعة»

قالها بانبهار وهو يربت على كتفها إلا أنها لم تشاركه انبهاره ذاك وهي تعقد بين حاجبيها بعدم فهم، أي فكرة تلك الرائعة وهي لم تتفوه ببنت شفه، ما الذي يهزي به هذا الرجل.

- «وأي خطة تلك الرائعة تحديدًا يا سيد شارلوك هولمز ؟»

تراجع رأسه للخلف وهو يضحك على ذلك الوصف الغريب الذي وصفته به، فبرغم بنيته القوية وهالة الغموض المحيطة به والتي يعلم تأثيرها على الفتايات ... إلا واحدة بالطبع، إلا أنه يرى نفسه أقرب لشخصية هيثكليف بطل أقرب الروايات الرومانسية لقلبه (مرتفعات ويذرينج) فهو الحالم الذي يحيك بالكلمات أثوابًا لا تليق سوى بالأميرات، إلا أن أميرته على ما يبدو تفضل السراويل .... حسنًا من يحيك هذا يحيك ذاك أليس كذلك ؟ ، وقف عن مقعده واضعًا إحدى يديه في جيوب بنطاله وهو يتقدم نحوها، في الروايات الرومانسية تتراجع البطلة بخجل إلا أن البطلة في روايته من أرض الواقع لم تحرك ساكنًا إلا من اشتعال وجنتيها الذي فضح أمرها لعينيه الفاحصتين، اقترب واقترب حتى ما عاد

يفصل بينهما شئ فقط ليميل على أذنها هامسًا بنبرة خنقتها المشاعر التي لم يعتاد كبتها ،،،،

- «لو نصفي العنيد آمن بأنني مكمله لن يحتاج أن يسأل مثل ذاك السؤال»

توقعت أن يقترب أكثر، أن يزيد من هجومه العاطفي على خافقها الذي يتقافز الآن بين جنبات صدرها طربًا لعذب صوته، إلا أنه ابتعد عنها ببساطة وهو يسحب هاتفه النقال من جيب سترتة، طالعته وهو يبحث عن أحد الأرقام على هاتفه ثم ما لبث أن ضغط زر الاتصال ووضعه على أذنه، لحظات وابتسم بحبور وهو يقول ،،،،

- «مرحبًا كامل أريد منك خدمة»

ظلت تتأمله طوال فترة حديثه، وجيب قلبها يعلو بين لحظة وأخرى، قلبها العصي الذي يرجف بين جنبات صدرها الآن وقد لان لصاحبه، مشاعرها لم تعد تفاجئها ولكن فكرة الاستسلام لرغبات قلبها ترعبها، ربوة شامخة وجدت نفسها فجأة في قمتها، تخشى البقاء والوحدة وتخشى كذلك السقوط في سهولها الرحبة التي تعدها رغم عدم يقينها بالنجاة.

- «حسنًا سأخبر الآن باريش بوجهتنا وتغيبنا عن العمل في الأيام القادمة ثم نستعد للرحيل»

- «فرات»

صرختها المفاجئة أجفلته، وبنظرة اعتذار تابعت ،،،

- «أخبرهم فقط بأننا سنذهب لإيطاليا حتى ننهي بعض الأوراق الخاصة بالعمل مع أنطونيو».

ابتسم وهو يحرك رأسه بمعنى لا فائدة، بحق الله لقد تأكدت بنفسها اليوم من تورط كاميلا وللآن لازالت تشتبه بالجميع.

***

المنزل الذي دلفوا إليه منذ دقائق فقط لم يكن كأي مما تخيلت من قبل، ربما قد زارت جدتها ووالدتها مرارًا إلا أن زياراتها كانت قاصرة على استضافة عادية لبضع ساعات، ثم رحيلهم إلى إسطنبول للتمتع بباقي أيام العطلة، تعلم أن علاقتها بعائلة والدتها لم تكن بالعلاقة الوثيقة التي نتأمل من خلفها الكثير، علاقة بالدم فقط والدم لم يكن يومًا مقياسًا للانتماء، فالبعض كوالدها ولو عشت معه عمرًا كاملًا ستفتقد مثل ذاك الشعور، كذلك علاقتها وأسرة والدتها رغم أنها ليست أبدًا بذلك السوء، عندما اختارت بملئ إرادتها أن تترك كل شئ خلفها وتأتي إلى هنا لم تكن فعلًا

راغبة في الانتماء، ولكنها كانت تحتاجه وشتان ما بين الحاجة والرغبة.

تأملت المنظر الخلاّب أمامها بنوع من الانبهار حتى أنها كادت أن تنسى السبب الحقيقي لقدومها في المقام الأول، ارتجف جسدها عندما طوقها فرات بكلا ذراعيه من الخلف وهو يهمس بجوار أذنها ،،،،

- «ما أجمل أن تنعزلي عن صخب وازدحام مدن تركيا، تقضي عطلتك وسط روعة الريف التركي، تشاهدين الحياة البسيطة، وتنالين قسطاً من المتعة والحياة في هدوء، تستمتعين بالطبيعة والحياة البطيئة، التي تختلف كليًا عن أي بقعة أخرى دونها»

ورغم رجفتها المصاحبة لتقاربهما الذي يفرض هيمنته على كل حواسها، إلا أنها استكانت لهمسه الناعم مغمضة العينين، تستعذب نبرة صوته ممزوجة بشدو البلابل من حولهما، وكأنهما قد انسلخا عن العالم أجمع إلا من عالمهما البسيط الآن، هي وهو، والطبيعة الغناء، هواء نقي يداعب ملامحها وصوته ينساب بعذوبة عبر شرايينها، صوت محرك إحدى السيارات قاطع بهاء لحظتهما مما جعلها تفتح عينيها على اتساعهما وقد تنبهت لوضعهما، دفعته في صدره ليبتعد عنها وهي تقول دون مراعاة لبهوت وجهه كرد فعل على حدتها المفاجئة وقد كانت منذ لحظات فقط مستكينة بين ذراعيه كطفلة وجدت أمانها ،،،

- «ما الذي تفعله ؟ هل صدقت حقًا أننا زوجان، أفق فرات علاقتنا مؤقتة تمامًا كزواجنا الافتراضي، لا نحن فيما بيننا، فقط أنا وأنت»

شتم في سره وهو يكور قبضتيه حتى ابيضت مفاصلهما، هل تنوي تلك المرأة على جنونه، أم أنها فقط تعاني من خلل نفسي ما، منذ لحظات فقط كانت ناعمة كحلوى الخطمى بين ذراعيه، حتى أنه قد ظن للحظة انها قد رضخت أخيرًا للأمر الواقع ولكن الآن ... لا يعرف بماذا يصف حالها الآن، هل تبادله المشاعر أم تتلاعب به ببساطة، تقلباتها المزاجية باتت تزعجه، وقدرته على التحمل حقًا قد أوشكت على النفاذ، غربة وتحرر ربما، نصفه الآخر أم لا فهو في النهاية ابن من أبناء القرى، كبريائه هو تاجه وعنفوانه هو لباسه الرسمي الذي يعتز به، ولن يقبل أن يسلبهما أحدهم منه ولو كانت قناعته اللعينة تعلنها كل صباح بأن تلك المرأة له.

أغمض عينيه وهو يحاول احتواء غضبه ثم فتحهما وهو ينأى بنفسه عنها، يتحرك بدبيب غاضب ارتج له عالمها كله لخارج الغرفة، وبمجرد أن أغلق الباب من خلفه انهارت كل دفاعاتها وهي تتهالك على أحد المقاعد دافنة وجهها بين كفيها، ثم أجهشت بالبكاء، أنها خائفة خائفة لماذا لا يفهم، طوفان المشاعر الذي حاصرها بداخله يستنزفها، يطيح بقدميها عن أرضها الصلبة، وهي حديثة

العهد بتلك الأرض المحرمة ولا تدري سبيلًا للخلاص، تخشى أن تقترب فيبتلعها ذلك الطوفان، وتخشى أن تبتعد فتفقد انتماء تعترف لنفسها الآن بأنها قد توقعت ألا تعايشه يومًا من جديد، تخشى الفقد، وتخشى القرب، تحبه، نعم على الأقل تستطيع الاعتراف بها بينها وبين نفسها، ولكنها تخشاه، تخشى تهديده بزعزعة كل قناعاتها السابقة وقد لمست بنفسها لأي حال تؤول بين ذراعيه، لقد اعتادت السيطرة على كل مجريات أمورها، بقوة وثبات، بنضج وروية، إلا أنها الآن تقف وحيدة على مفترق طرق وأيهم ستتخذ هي لا تعلم، فلطالما سلكت درب العقل ولم يخذلها، ماذا لو بدلت الآن وجهتها واتبعت درب القلب، هل سينتظرها الأمل في نهاية الطريق، أم فقط ستعود خالية الوفاض لتسلك طريقها المعتاد ولكن تلك المرة بقلب كسير.

***

الفصل الثامن

- «صدقني أنا أشعر أن هناك من يتتبعني»

زفر باريش بملل وهو يعقد ساعديه أمام صدره في إقرار واضح لعدم تصديقه لما تهزي به، ربما يظنها قد فقدت عقلها، ربما هي نفسها ترى نفسها كذلك في بعض الأوقات، ولكنها تكاد تقسم أنها تستشعر سهام النظرات التي تخترق ظهرها، بل انها في احدى المرات استشعرت وكأن هناك أحدًا معها في المنزل، نعم عندما تجاسرت وهي تخرج من غرفتها لتتفحص منزلها الخالي إلا منها لم تجد ما يشير إلى وجود أحدهم، ولكنها تشعر بوجوده، لدرجة انها فكرت في أن تعود من جديد لتشارك أبويها مسكنهما كي لا تبقى وحدها أسيرة الظنون أو أن صدق حدسها، ذلك المتربص

- «تعال واستمع لقصة السيدة نارين التي يبدو أنها قد فقدت عقلها بسبب الرِّوايات البوليسية التي تصر على صرع نفسها بها»

ابتسم كرم عندما استقبله باريش بذلك الترحيب فور دلوفه لغرفة فرات الخالية الآن منه، ثم ما لبث أن نقل بصره بين باريش الساخر وبين ملامح نارين المتغضنة، وخزة اعتاد عليها كلما اقترب منها عاجلته، ولكن ألمها الآن مضاعف وهو يراها تعتصر عينيها وكأنها تحاول السيطرة على رغبتها في البكاء، التفت نحو باريش وهو يبرق بعينيه بينما يشير في اتجاهها.

- «كفى سخافة باريش ألا ترى حالتها»

ثم عاد بوجهه لها، يتأمل ملامحها الحزينة بعشق أضناه، ولكنه تحامل على ألمه الخاص وهو يسألها برفق

- «ما بكِ نارين ؟»

ألقت نظرة حانقة نحو باريش ثم عادت بوجهها نحو كرم من جديد، تقص عليه شكواها بخوف حقيقي، تبثه مخاوفها التي طالما استنكرتها بنفسها، غافلة عن أن خوفها الخاص قد انتقل إليه، ربما تبدو قصتها مبالغ بها، ولكنه يعلم نارين جيدًا هي لن تكذب وهو واثق تمام الثقة من أن كل ما ترويه الآن حقيقي بشكل مقبض، ود في تلك اللحظة أن يعرض عليها البقاء معه في شقته، يحميها بقلبه قبل جسده من أي وغد يفكر حتى في الاقتراب، ولكنه يخشى رد فعلها على عرضه، ربما تلك هي لعنته، أن يحب من بعيد، يعشق

عبر مسافات كلما قطع جزءًا منها فوجئ بذات الجزء يمتد أمامه من جديد، لذا فضّل البقاء في مكانه، يطالع بحسرة كنزه الثمين ينزلق من بين أنامله.

- «إلا تستطيعين البقاء في منزل أبويكِ، أعلم انكِ ناضجة بما يكفي لتستقلي عنهم ولكن ...»

ثم ترك جملته الأخيرة معلقة وهو يرمقها برجاء صامت علّها تنجح في قراءته تلك المرة، فعلى الأقل بقاءها محاطة بالحماية سيهدئ من روعه بعض الشئ، كاد أن يعانقها عندما زفرت باستسلام أخيرًا ثم حرَّكت رأسها بموافقة صامتة استجابة لرجائه، ولكنه استطاع السيطرة على رغبتة تلك بشق الأنفس وهو يبتسم لوجهها بحنان، يدعو الله من كل قلبه أن يحفظها، حتى وإن لم تكن له.

***

استند بكتفه على الإطار الخشبي لنافذة غرفته المطلة على الطريق، عاقدًا ذراعيه أمام صدره يتأمل انعكاس ضوء القمر الذي ألقى بظلاله على الأراضي الزراعية مترامية الأطراف قبالته، الظلام قد بدأ في إرخاء ستاره على المكان من حوله، والهدوء القروي المعتاد في تلك الساعة المتأخرة من الليل يفرض هيمنته، عقله لازال حبيس تلك اللحظة النفيسة بينهما، لحظة احتواها

بين ذراعيه وكأنها طوق نجاته، يستنشق بنهم عاشق رائحة الزهور البرية المنبعثة من خصلاتها كما بشرتها الكريمية التي تتحدى أناملة برعونة أن يتلمس نعومتها، انتماء لم يشعر بحاجته الماسة له من قبلها، كالغريب الذي عاد أخيرًا لموطنه بعد سنوات الغياب، لحظة غنت لها البلابل بحماس لم يعهده من قبل، وكأنها تشاركه فرحه لحظات تساوي عمر بأكمله، كل لحظة معها متفردة عن سابقتها، وكأن عشقه لها يتجدد بتجدد تلك اللحظات النادرة، لتقطع بجحود تلك اللحظات وهي تصوب طعناتها الواحدة تلو الأخرى بلا رحمة لقلبه، تدفعه عنها وكأنها لم تشاركه للتو ما عايشه، اعتذارها الحرج بمجرد عودته من الخارج لم يساعد على تهدئته، هو لا يريد اعتذارها اللعين وإنما يريدها أن تعلنها دون خوف أو خجل، يريدها أن تفصح أو على الأقل تمنحه فرصة كاملة للإفصاح، راض هو بأي شئ فقط ينبؤه بأنه ليس وحده في تلك القصة من يعاني، كل ما به يعاني، ذراعاه تعانيان من توقهما لاحتوائها، قلبه يعاني من بعدهما الذي أضناه، كلماته تعاني وهو عاجز عن البوح، ولسانه يعاني كسيف كليل لا طائل منه وقد فقد براعته المشهود لها.

- «حسنًا سيد أحمد، أشكرك وسأوافيك بالمستجدات أولاً بأولٍ»

ضغطت على قابس الضوء لينتشر الضوء في الغرفة المظلمة إلا أنه عاجلها وهو يقول دون النظر نحوها ،،،،

- «أغلقي الضوء حتى أستطيع رؤية ما يحدث بالخارج»

تنبهت لإخفاقتها سريعًا لتضغط على زر القابس بجوارها، ثم عبثت في هاتفها لتشغيل كشاف الضوء الخاص به، تقدمت واضعة له على الفراش ثم تحركت نحو فرات الذي عاجلها بالقول وقد ارتسمت ابتسامة ساخرة على ملامحه،،،

- « ماذا ؟ هل تخشين البقاء بمفردك معي في الظلام ؟»

تأففت بانزعاج وهي تتخذ المقعد المواجه له بجوار النافذة، لا تعلم كيف تكفر عن خطئها الغير مقصود وهو يتجنبها منذ الليلة الماضية، فمنذ عاد بالأمس بعد ساعات لا يعلم إلا الله أين كان خلالها وهي تحاول الاعتذار إلا أنه تخطاها ببساطة .. فقط ليتمدد على الفراش دون كلمة واحدة في إعلان صامت عن أن تلك الليلة ستكون مناوبتها، لا تعلم لكم ظلت تتفحص ملامحه المستكينة عبر الضوء الخافت لكشاف هاتفها، قلبها رغمًا عنها يؤلمها لإيلامه بتلك الطريقة ولكنه الخوف اللعين، شعور مقيت لم تظن يومًا أنها ستكون فريسته يومًا ما إلا أن ظنها قد خاب الآن وهي تتأرجح كعروس الماريونت بين أنامل ذاك الغريب، نفضت عن رأسها

تلك الأفكار التي لن تزدها إلا خجلًا من عجزها وهي تقول مغيرة لمجرى الحديث ،،،،

- «ألن تسألني عن سبب محادثتي له ؟»

ارتفع جانب ثغره بتهكم مرير وهو ينظر من النافذة باهتمام وهمي، لقد تهربت مجددًا من أسئلته، وهي التي تحاول ادّعاء الندم على تصرفها معه بالأمس، تنهد بخفوت وهو يقول بنبرة باردة أسرت بالقشعريرة في جسدها ،،،،

- «وما هو ؟»

ابتلعت غصة في حلقها وهي تنظر لجانب وجهه المقابل لها، أليس ذلك هو هدفها، ألم تنهره بالأمس لاقترابه، لماذا إذن تشعر بلسعة دموعها الحبيسة في مقلتيها، أطرقت برأسها علها تخفي تأثرها من تباعده ،،،

- «لقد طلبت منه قبل تحركنا أن يعدل في قوائم المسافرين إلى إيطاليا ليضمنا لهم، تعلم لربما كانت دائرة علاقاتها الداخلية أكثر اتساعًا مما نأمل»

التفت ليواجهها بكليته وهو يتكئ بظهره على إطار النافذة رافعًا لإحدى حاجبيه ،،،

- «ألم تقولي بالأمس فقط أن لا نحن بيننا فقط أنا وأنتِ ؟»

اقتباسة لكلماتها جعلها تضرب بثباتها الواهي عرض الحائط وهي تقف عن مقعدها بحدة.

- «ما الذي تقصده بكلماتك ؟ هل تسخر مني ؟ نعم لا نحن بيننا، ولكن فيما يتعلق بتلك القضية اللعينة التي لا تريد أن تنتهي بلى»

- «كاذبة»

- «ماذا قلت ؟»

سؤالها بتلك الطريقة البلهاء جعله يعض على نواجذه بغضب لا يعلم هل يوجهه لها أم لذاته، ولكن ما يعرفه يقينًا الآن أنه غاضب كالجحيم الذي يهدد بانفجار من الحمم حتمًا ستحرق كلاهما، لقد تراجع عن نيته في تجنبها، تمامًا كفارس مهزوم عاد محملًا بخزيه من أرض المعركة، اقترب منها خطوة وكما توقع رغم التوتر الذي تحاول إخفائه بمهارة تستحق الإعجاب .. فقد لو كان في وقت آخر، إلا انها لم تتراجع خطوة واحدة للخلف، بثبات وقفت تطالعه بنظرة لا تفصح عن أي مما يعتمل بداخل ذلك الرأس السميك الذي يريد الآن لطمه بقبضته لربما حينها يستعيد جزءًا من رجاحته الغائبة

‘‘‘‘

- «قلت كاذبة، والكارثة أنكِ لست فقط تنطقين كذبًا ولكنك تكذبين على نفسك كذلك، ولكن لماذا ؟ لماذا تنكرين ما تفصح به عيناكِ دون الحاجة لكلماتك اللعينة التي تهدد بإفقادي عقلي.»

الصرخة التي نطق بها كلماته الأخيرة جعلتها تتراجع خطوة للخلف مجفلة وهي ترمش بأهدابها، كم صدق في ادعائه وكم صدقت هي في كذبها، كلاهما صادق ولكن بطريقته الخاصة، بصدق غير منطوق، وكذب معلن رغم صدقه، فهي لا ترى نحن في علاقتهما، لا ترى غدٍ يجمع خوفها بجرأته، جبنها بجسارته، لقد انقلب السحر على الساحر وعصية القلب أصبحت أكثر ليناً من العجين بين أنامله الماهرة، ترى انهزامها بأم عينيها وهي التي قد اعتادت الانتصار، فهل تسلم القلب زمام أمرها أم تتبع عقلها الذي يصر على عناده !!!

صفحة وجهها كانت كصفحة من كتابه المفضل حفظها عن ظهر قلب، يرى تتابع الانفعالات على ملامحها ويعي بكل أسف القادم الذي وبكل تأكيد لن يعجبه، خطى خطوة في اتجاهها ثم توقف ينتظر تراجعها، إلا أنها لم تفعل تلك المرة، لذا تابع تقدمه حتى ما عاد يفصل بينهما سوى لهيب أنفاسهما المبعثرة، رفع أنامله ليمسد وجنتها بحنان هو في أمس الحاجة إليه، كالجائع أمام وجبته المفضلة، كالعطش وهو على بعد خطوة من مصدر الارتواء، ابتلع ريقه بصوت مسموع عندما رفعت زمردتيها نحوه، ترجوه بعينيها

أن يرحم ضعف من اعتاد القوة، إلا أنه تجاهل رجاءها الغير منطوق وهو يهمس لعينيها ،،،،،

- «البعض يظن أن من يكتب عن الهوى هو أكثر من عايشه، كراوٍ يقص حكاياه التي خاضها على مسامع المنصتين، ولكن الواقع غير ذلك صدقيني، فأمهر من يكتب عن الأشياء هو مفتقدها، يتغنى بقصيدة حرمانه على عزف ناي حزين، أنا ذاك المحروم ريماس، محروم وجد أخيرًا ما هفت نفسه إليه، فلا تلوميني عندما أمزق قصائدي الحزينة وأشدو بين يديكِ قصيدة عنوانها الخلاص»

ظلت ترمقه للحظات بصمت دون أن تنطق ببنت شفه، صمت غلف اللحظات وأحترق بلظى الدقائق، صمت أذاب الفؤاد والتحف ثوب السكون، كلاهما ضائع في عينا الآخر، كلاهما غارق في صاحبه حتى النخاع، كلاهما يتوسل بعينيه صاحبه ولكن للأسف لأسباب مختلفة، فبينما هو يناشدها الإفصاح، إطلاق سراح ما يعلم أنه توارى خلف قناعها الفولاذي الذي انقشع تمامًا الآن، تناشده هي الابتعاد، تنشد هروبًا رحيمًا من معركتها الخاسرة، لم تتخذ يومًا الهروب درعًا واقيًا ولكنها تراه الآن طوق النجاة، رفعت أناملها وقد التحفت قناعها الصلد من جديد، تزيح برفق أنامله التي تحرق بشرتها بلهيب لا قبل لها به وهي تقول بينما تتراجع خطوة للخلف ،،،،

- «تصبح على خير فرات»

وها قد انتصر عقلها من جديد ... أخذ يتابعها بذهول وهي تتحرك بخطوات بدت واثقة لعينيه رغم وهنها، إلا أن غضبه قد أعماه عن تلك الحقيقة الأخيرة، مالت بجسدها لتتناول هاتفها الموضوع على فراشه ثم اعتدلت لتتابع طريقها لخارج الغرفة، لعن في تلك اللحظة نفسه وضعفه الذي جعله يواجه الرفض مرة تلو الأخرى دون أن يمتلك ثقافة التراجع كي لا يمعن في تمزيق كبريائه أمامها، ربما لو لم تلفت انتباهه منذ خطت لداخل مكتبه في المرة الأولى لظن أنه منجذب لفكرة تمنعها، ولكن لا، ربما كان ليستشعر ذلك مع أخرى، أخرى لم يعرفها، أخرى لم تثير بداخله تلك العواصف الهوجاء التي أثارتها تلك المتباعدة بجسدها، والحاضرة كما يجب للحضور أن يكون، لم يشعر بالعجز يومًا كما يستشعره الآن، وقبضة من جحيم تحرق خافقه .... تحرك نحو النافذة من جديد وقد فطن لأنه قد ابتعد عنها لفترة طويلة ربما خسائرها أكبر من خسارته لعشقه الممنوع، اتكأ على الإطار الخشبي وهو يعقد ذراعيه أمام صدره، يتطلع بشرود في الأفق البعيد، وعقله اللعين يعود صاغرًا لمعشوقته رغمًا عنه، ما الذي سيحدث فور انتهاء تلك المهمة، هل ستعود لبلدة أبيها فلا يراها مجددًا، أم انها ستعود لمنزل جدتها

في قريته التي غادرها بلا رغبة في العودة، هل بدأ العد التنازلي بالفعل لعلاقتهما، أم أن القدر يخبئ لهما شئ آخر، ولكن السؤال الذي طرق رأسه بشدة فجأة هو ... هل ستقترن بآخر بعد انتهاء زواجهما الافتراضي !!!

ابتلع غصة ألم استحكمت في حلقه وهو يعود بعينيه لمطالعة الطريق الخالي إلا من مرور بعض السيارات على فترات متباعدة، لا يعلم لماذا لم يفاجأ عندما علم أن أغلب الفتايات المتغيبات هم من بنات تلك القرية تحديدًا، خاصة وهي تعتبر مزار سياحي يأتي إليه مناشدي العزلة وعاشقي المناظر الخلابة من كل حدب وصوب، وتعتبر نوعًا ما مرتع للرائح والغادي، على عكس قريته، ربما البعض يغري الفتايات بالهروب، وربما فقط تلك القوانين التي تسبّبت في إنهاء شقيقته لحياتها دون لحظة تفكير.

اعتدل في وقفته فجأة وقد تأهبت كل حواسه عندما طالع إحدى السيارات التي لم يستطيع تحديد نوعها بسبب ظلام المكان الحالك إلا من ضوء مصابيحها، تبطئ من حركتها حتى توقفت أخيرًا، ابتعد بسرعة عن موضعه وهو يتحرك بخطوات واسعة نحو باب المنزل، ولكنه توقف فجأة بعد فتحه وهو يلتفت ليواجه غرفتها المغلقة، حائر بين ايقاظها أو تجاهل الأمر والإسراع للخارج قبل

فوات الأوان، لحظات مضت وهو على وقفته حتى حسم أمره أخيرًا وقد راق له الخيار الأخير، ربما فقط ما يحدث بالخارج لا يعدو عن كونه انذار خاطئ كما حدث معها بالأمس، كما أنه ليس في وضع يسمح له الآن بالتعامل معها الآن.

بخطوات راكضة كان ينهب الأرض وهو يتوجه نحو السيارة المتوقفة على جانب الطريق، صدى دقات قلبه يتردد في أذنيه، وشعور قوي بداخله ينبئه بأنه على بعد خطوات من مواجهة حاسمة ربما ستنهي تلك المأساة وللأبد، توقف فجأة متسع العينين عندما تعرف على السيارة التي كانت على بعد خطوات ضئيلة الآن، يحاول انكار ما تراه عينيه واضحًا لا التباس فيه، عاود الحركة من جديد بعد أن أفاق من ذهوله وهو يطالع إحدى الفتايات تخرج من أحد الشوارع الجانبية، تتلفت حولها بنوع من الحذر والخوف، التهم الخطوات الفاصلة بسرعة ثم فتح فجأة الباب المجاور لمقعد السائق ليسحبه من ملابسه لخارج السيارة وظنونه كلها تتحول لليقين.

- «إنت، إنت كرم !»

لم يكد ينطق جملته الأخيرة حتى عاجلته ضربة قوية على رأسه أفقدته توازنه، ترنح في وقفته متسع العينين وهو يطالع ذلك المذعور

أمامه، وبينما رفع كفه الحر والمرتجف ليتحسس موضع الضربة الغادرة، وهو يحاول الالتفاف لمواجهة مهاجمه، عاجلته ضربة أخرى أقوى من سابقتها جعلته يرخي قبضته عن ياقة كرم وهو يسقط على الأرض الخشنة من تحته، صوت صرخات الفتاة المكتومة قطعت الصمت المهيب من حوله وعندها استسلما جفنيه أخيرًا وقد غادره الوعي بلا عودة .... ربما !!!

***

الفصل التاسع

رفرفت بأهدابها وهي تتمطأ مودعة ساعات النوم، لا تعلم متى غفت بالأمس، ربما قد فقدت الوعي بعد فترة من البكاء المرير قضتها وحيدة ترثي حالها وقد رحمها عقلها من صراعه وخصمه (القلب)، ترجلت عن الفراش وهي تتناول هاتفها لتنظر في ساعته، يا الله لقد تأخرت في النوم، وبالتأكيد فرات لازال في انتظارها حتى تباشر نوبة حراستها، لماذا تركها نائمة للآن، شعور بالاختناق عاجلها فجأة مما جعلها تمسد رقبتها بحاجبان معقودان، سحبت عدة أنفاس متقطعة لتعيد الهواء لمجراه الطبيعي، بمجرد أن هدأت فتحت باب غرفتها وهي تقول بصوت مرتفع وقد اتخذت طريقها صوب الحمام ،،،،

- «صباح الخير فرات، سأغسل وجهي وأفرش أسناني ثم آتيك على الفور»

لا رد، عقدت بين حاجبيها وهي تنظر نحو باب غرفته المفتوح، هل لازال غاضبًا منها منذ الأمس، أم أنه لم يستطع انتظار استيقاظها الذي تأخر كثيرًا فاستسلم مرهقًا لسلطان النوم، تنهدت بخفوت وهي تدلف للحمام ثم أغلقت الباب من خلفها.

طالعت الغرفة الخالية بحاجبان معقودان، هل خرج لإحضار الفطور ؟، زفرت بهدوء وهي تتقدم من النافذة، تتأمل محيطها السعيد على عكسها، رفعت هاتفها لتنظر فيه وهي تحاول إثناء نفسها عن محادثته، ما الذي سيظنه بها؟ إنها غير قادرة على تحمل أن لا يكون وجهه أول ما تبدأ به يومها، حسنًا ربما لن يكون مخطئ في ظنونه إذا وصل تفكيره لذلك الحد، إلا أن ذلك هو سرها الصغير الذي لن تطلعه عليه بكل تأكيد، ظلت ممسكة بهاتفها وهي تتطلع في الطريق الخالي من المارة فقط لتتسع عيناها عندما استقرت على سيارته المتوقفة تمامًا في مكانها المعتاد، غريب !! فعلى حد علمها أنه يحتاج سيارته في تلك المشاوير بسبب ابتعاد مكانهما نوعًا ما عن العمار، وبدون تفكير فتحت هاتفها لتبحث عن رقمه ثم ضغطت زر الاتصال .... النغمة المميزة لهاتفه استرعت انتباهها على الفور، أزاحت الهاتف بعيدًا عن أذنها وهي تتوجه نحو الطاولة المجاورة لها متناولة لهاتفه بأنامل مرتجفة، لماذا تركه؟ ، عاودها شعور الاختناق من جديد، الخوف اللعين الذي أضحى ملازمًا لها في الفترة الأخيرة

ينهش صدرها، تلفتت حولها بعجز وهي تخلل أناملها في شعرها، هل من الممكن أن يكون قد أصابه مكروه ؟

- «حسنًا اهدئي ريماس، الخوف لم يفيدكِ الآن، نفس عميق ثم زفرة، نفس عميق ثم زفرة»

هذا ما تدربت عليه طويلًا عندما يعجزها أمر ما، أغمضت عينيها قليلًا وهي تحاول الاسترخاء حتى يتسنى بها التفكير بروية، العديد من المشاهد التي تجمعهما سويًا أخذت تتكالب على عقلها دون رحمة، ماذا سيحدث لها لو فقدته، لا لا ذلك التفكير المحبط لم يؤتى بالثمار التي تنشدها الآن .... فتحت عينيها فجأة وهي تضرب رأسها براحة يدها، كيف نست ؟، بخطوات شبه راكضة التهمت الطريق حتى وصلت لغرفتها، سحبت حاسوبها فاتحة له وهي تعض على شفتها السفلى بتوتر، كيف بحق الله نست انها قد زرعت في ساعة معصمه إحدى أدق أجهزة التعقب خاصتها، أخذت تعبث بالأزرار بسرعة ومهارة وهي تطالع شاشة حاسوبها بينما تبتهل إلى الله أن يكون فقط قد آثر السير اليوم .... اتسعت عيناها عندما ظهر على الخريطة أمامها المكان الذي هو به الآن والذي يبعد عنها ربما بساعة كاملة، وضعت يدها على خافقها الذي ثارت نبضاته بشكل غير مسبوق فجأة وقد وجدت الدموع أخيرًا طريقها لعينيها، ذلك بالتأكيد لا يعني سوى أمر واحد، وهي الغبية التي تجاهلت

حالة الإختناق الغريبة التي عاجلتها فور استيقاظها، لماذا لم يوقظها، والإجابة اشتعلت برأسها كهوة من الجحيم ... هي السبب، تمردها وعنادها، خوفها من الاعتراف بعشق لم تكن متأهبة لمجابهته، كبرياؤه اللعين الذي أوقعه فيما لا يعلم إلا الله به الآن، ستموت.. حتمًا ستموت لو أصابه مكروه .... بأنامل مرتجفة نقلت الموقع على هاتفها ثم أعادت بسرعة إرساله إلى هاتف النائب مصحوبًا برسالة نصية فحواها:

(لقد وجدنا الهدف، فرات بحوزتهم، أنا في الطريق)

***

بملامح تقطر منها الدماء كان يطالع فرات الجالس مكبل الأيدي والأرجل كحاله على المقعد المقابل له في ذلك المكان الذي لا يمكن وصفه سوى بالقذارة، دموع الندم تنساب على وجنتيه وهو يطالع صديقه الذي لم يعرفه من قبل سوى بالجسارة جالس بلا حول ولا قوة قبالته وهو يشيح بوجهه عنه ... معه كل الحق، لقد تعقبوه كعادتهم، لا يتركوه لحظة واحدة، يتبعونه كظله وهو حتى لا يعلم السبب، لقد أفقد أحدهم فرات الوعي بضربتين من ظهر سلاحه، بينما الآخر سحب الفتاة لسيارتهم التي كانت متوقفة بين الأشجار مكممًا فاه، لقد وصل أخيرًا لخط النهاية ولا زال بكل أسف جالسًا في مقعد المشاهد !

- «لماذا ؟»

سؤال وحيد خرج من بين أسنان فرات المطبقة دفع بلمحات من الماضي للتسارع في عقله، ليعود صاغرًا لذلك اليوم الذي قلب حياته رأسًا على عقب ،،،،،

يتيم، وحيد لا أنيس له سوى حاسوب وجدران صماء، مهزوم، مكبل من رأسه لأخمص قدميه بمشاعر عجز عن الإفصاح عنها، عاشق جبان يتخذ مقعد المشاهد في حياة معشوقته، وسلاح الجبن هو أقوى الأسلحة التي يصوبها الإنسان نحو نفسه، حساب وهمي بأناس وهميون كحاله يتحدثون في كل شئ و اللاشئ عبر برامج التواصل الاجتماعي، منشور غريب استرعى انتباهه وأجج فضوله حول تقسيم الإنترنت، فكرة أن المستخدمين العاديين يستخدمون حوالي أربعة بالمائة فقط من الإنترنت جعلته يجلس متأهبًا وفضوله يتآكله حول الستة وتسعون بالمائة الباقية، أغلق موقع التواصل وهو ينغمس في بحث مطول حول ذلك الجزء الغامض من الإنترنت والذي لا يعلمه الكثيرين، وبرغبة مريرة في التفرد في أي جزء من مناحي حياته بدأ في القراءة عن كيفية الولوج لذلك الجزء المثير من الإنترنت، قام بتحميل المتصفح الخاص به والذي أكد رواده أنه آمن ضد أي محاولات اختراق من محترفيه، ثم بدأ في استكشاف ذلك العالم الملئ بالإثارة .... أو هذا ما ظنه

في البداية !!

بدأ يتصفح الإنترنت العميق (Deep web) لأيام دون كلل، يعود من الخارج سريعًا لاستكشاف عالمه الجديد، مصدر إلهائه عن ما يوغر صدره، بدأ في تحميل الكتب والمجلدات المجانية والنادرة وكأنه قد عثر على كنزه الثمين، ولكن الأمور لم تقف به عند ذاك الحد، والفضول تمامًا كالحفرة كلما أخذت منه زاد، أخذ يتفحص ذلك العالم بانبهار، حتى ضغط في احد الأيام على رابط ظهر أمامه فجأة ليصدم بعالم آخر تمامًا، أكثر عمقًا، وأكثر جرمًا كذلك يسمى بالإنترنت المظلم (Dark web) تجارة أسلحة، مخدرات، قتلة مأجورين، تجارة أعضاء، تجارة رقيق، رابط يقوده لآخر وفضوله يتعاظم بمرور الوقت، إلا أن أنامله توقفت فجأة وقد ظهرت أمامه نافذة تبرق باللون الأحمر وقد خطت عليه جملة (الغرفة الحمراء Red room) ومدفوعًا بفضوله المعتاد ضغط على الرابط لتفتح له صفحة جديدة سوداء اللون مكتوب عليها بالإنجليزية وباللون الأحمر الدامي

(مرحبًا بك)

إنت هنا لأنك تحب الانشطة التي نقوم بها.

ننبهك أن ما نقدمه هنا ليس للمزاح وإنك فعلا شخص جاد بخصوص ما نقدمه من أنشطة.

من يريدون الانضمام إلينا سيتمكنون من الدخول إلى غرف خاصة وسوف يتم تنبيههم عن طريق العناوين التي تم تقديمها.

لكي تنضم إلينا أنت تعلم أن الامر يكلفك مبالغ ضخمة، لذا في حالة كنت غير متردد يمكنك اتباع الخطوات التالية.

١- أرسل لنا البتكوين إلى العنوان التالي.

٢- أرسل لنا عنوان الذي تريد الدخول به إلى الغرفة الحمراء.

٣- عندما تقوم بكل ما نطلبه منك بشكل صحيح سوف تصلك رسالة بها معلومات الدخول إلى الغرفة الحمراء.

تنبيه للمرة الأخيرة: يجب أن ترسل البتكوين والعنوان المراد الدخول به ولا تقم بإرفاق أي معلومات أخرى ، في حالة تم إرفاق معلومات أو رسالة معينة سيتم إقصائك ولن تتمكن من المشاركة مرة أخرى. نحن نبحث فقط عن من هم جاديين في ما يتعلق بالأنشطة التي نقوم بها.)

تلك الرسالة أثارت فضوله بشكل أكبر، مما جعله يضغط على الزر الذي بدوره قاده لصفحة أخرى (صفحة الأسعار) ومما

علمه من خلال تصفحه السابق للإنترنت العميق حول عملته فتلك الغرفة باهظة الثمن بشكل مبالغ به، ولكن ليس ذلك فقط ما أثار ارتيابه، ولكن الجملة المدوَّنة أسفل أبهظ الأسعار (مميزات المقعد: القدرة على إعطاء الأوامر وتقديم اقتراحات لطرق التعذيب. يستطيع اختيار طريقة القتل كذلك !) خرج سريعًا من الصفحة وهو يفتح أحد المتصفحات الشهيرة باحثًا عن أي معلومة عن تلك الغرفة، اغتصاب أطفال، اغتصاب فتايات ثم قتلهن، تعذيب سادي، وغيرها وغيرها من مثل تلك الأمور، هل ما قرأه صحيحًا أم أنه مجرد تلاعب بالعقول، ليقرأ في النهاية جملة جعلته يهب فزعًا عن مقعده وهو يغلق حاسوبه منتويًا عدم العودة لتصفح ذلك الجزء المظلم من جديد (يعتقد أن الاسم الحقيقي ل الغرفة الحمراء «Redrum» وليس Red Room والتي إذا تهجأتها إلى الوراء تنطق «Murder» أي القتل).

مر يوم، يومان، وفي الثالث كان كالمدمن الذي افتقد جسده مخدره، تعهد لنفسه بعدم العودة لغرفة القتل تلك، ولكنه بدلًا عن ذلك وجد نفسه في مكان آخر ... لتجارة الرقيق

ورغم استنكاره للفكرة إلا أن فضوله من جديد دفعه للمشاركة في الدردشة الخاصة بالموقع، الرجال يلقون بالنكات فيما بينهم بينما

يتبادلون صور لمراهقات فاتنات وكل منهم يتفاخر بصيده، لماذا لا يشارك في الحديث ؟

هل سيلعب دور المتفرج من جديد حتى هنا، وما الذي سيدفع مثل هؤلاء للحديث سوى صورة لفاتنة، تذكر الفتاة التي ساعدها على الهرب من قرية فرات من شهر خلا، تلك التي تحاول استمالته منذ بدأت في العمل بدار النشر، حتى أنها في أحد الأيام سحبت هاتفه بجرأة فاجأته لتلتقط صورة لنفسها كنوع من المزاح إلا أنه يعلم جيدًا غرضها من فعلتها تلك، بالطبع لم يكترث بها مثقال ذرة رغم فتنتها التي لا يستطيع إنكارها، إلا أن قلب العاشق بداخله أبى أن يلين، أخذ يبحث في هاتفه عن صورتها ثم ما لبث أن نقلها على حاسوبه ومنه إلى المحادثة، كان يجاريهم في تجارتهم كنوع من كسر الملل حتى شعر بالعطش، ترك حاسوبه ليحضر كوب من الماء ولكنه حينما عاد للغرفة من جديد كادت عيناه أن تخرجا من محجريهما وهو يطالع شاشة الحاسوب التي استحالت للون الأسود الداكن وخط عليها بخط أحمر دموي جملة جعلت الدماء تتجمد في عروقه.

(هل أنت جاهز كرم ؟)

رمش بأهدابه عدة مرات، يحاول استيعاب ما تراه عينيه بينما الخلفية السوداء تتبدل بأخرى، أخرى يظهر بها وحيدًا في غرفته،

يحدق في شاشة حاسوبة بذهول، بدأت الأحرف تظهر تباعًا في منتصف الشاشة تمامًا حتى انتهت أخيرًا ليقرأ الجملة كاملة.

(فلتبدأ اللعبة)

وعندها أخذت العديد من الصفحات تفتح بسرعة وبشكل عشوائي على شاشة حاسوبه بينما هو واقف أمامه مبهوتاً لا يقوى حتى على الحراك، أخيرًا توقف كل شئ لتظهر صورتها ملئ الشاشة، نعم هي عشقه اليائس وحلمه المفقود، شخصت عيناه وهي يرمق صورتها التي يحتفظ بالكثير غيرها على حاسوبه بفاه مفروغ عن آخره ولكنه أفاق من صدمته عندما علا رنين هاتفة المحمول فجأة، سحبه بسرعة وهو يفتحه ليجيب دون أن يكلف نفسه عناء إلقاء نظرة ولو خاطفة نحو اسم المتصل، وما كاد يفعل حتى وصله صوت غريب على الطرف الآخر يقول بإنجليزية غير سليمة

- «هل تهمك ؟»

- «من ؟»

- «نارين، أليس ذلك هو اسمها ؟»

ترنح في وقفته وهو يشعر بعالمه كاملًا ينهار من حوله، ما الذي يحدث ؟ ، قلبه يخفق بجنون حتى ظن لوهلة أنه حتمًا على وشك

الإصابة بنوبة قلبية مميتة، أغمض عينيه بقوة وهو يعتصر قبضته بينما يقول من بين أسنانه ،،،

- «من أنت و كيف عرفتها؟ ما الذي تريده عليك اللعنة»

وصله صوت ضحكات خشنة لمحادثه أثارت الرعب في نفسه

- «أمامك إسبوع واحد فقط لا غير إمَّا أن تحضر غيرها في الزمان والمكان الذي سأرسله لك وإمَّا أن تودعها إلى الأبد»

ثم انقطع الإتصال فجأة كما عادت شاشة حاسوبه لطبيعتها من جديد، وكأن الرعب الذي عايشه في الدقائق الأخيرة لم يكن سوى محض وهم من نسج خياله، إلا أنه يعلم بكل خلية في جسده تنتفض رهبة الآن أن وهمه الافتراضي ما هو إلا واقع يتخطى بشاعة الكوابيس.

....

توقف عن الحديث ليلتقط أنفاسه ودموعه قد أغرقت وجهه بأكمله، عاجز عن النظر في وجه صديقه وقد خان ثقته كما خان نفسه وربه سابقًا، خان معشوقته التي لا تعلم للآن ما عاناه لأجل الحفاظ على سلامتها، ما فقده في مقابل أن لا تفقد هي.

- «وما الذي حدث بعد ذلك ؟»

- «أبلغت الشرطة عن المكان الذي أرسله لي والذي بالطبع كان خاليًا، بعدها بدأت رسائل التهديد تتوالى، ولكني كنت أتجاهل الأمر، ظننت أنه ربما أحد قراصنة الموقع يحاول فقط التلاعب بي، ولكنني فوجئت في أحد الأيام بإرساله لي صورة لنارين في رسالة، صورة أراها للمرة الأولى والتي اكتشفت عندما وصلت للدار أنها صورة نارين في وقت مبكر من ذات اليوم»

اتسعتا عينا فرات بصدمة لم يحاول تداركها أو إخفائها.

- «هل كانوا يلاحقونها !!!»

ارتسمت على ملامح كرم سخرية مريرة وهو يومئ إيجابًا ثم تبعها بقوله ،،،،

- «بل وكلما أعرضت عن تنفيذ طلبًا لهم أرسلوا إلى مقطع مصور لها من داخل منزلها، لم أستطع الرفض فرات، فليحترق العالم، فلتحترق روحي وتبقى هي آمنة»

حرَّك فرات رأسه نفيًا وهو يقول بأسى ،،،

- «لم تضحي بروحك كرم، لقد ضحيت بنخوتك وأرواح الكثيرات بسبب فضولك اللعين»

صمت كرم عاجزًا عن الرد، فما الذي سيقوله وكل كلمة نطقها فرات صحيحة بشكل مؤلم .... لاحظ عقده حاجبي فرات بتفكير سرعان ما تبعه بتقريره وحاجبيه قد اقتربا من منابت شعره ،،،،

- «لقد سلمتهم كاميلا»

ومجددًا حرَّك رأسه بموافقة ثم قال بعد لحظة صمت قصيرة ،،،

- «لقد طلبت مني ملاقاتها في أحد النوادي الليلية لتشكو لي من تباعدك واهتمامك بريماس، لقد كان موعد تسليم الفتاة الجديدة وللأسف لم أكن قد نجحت في الوصول لواحدة»

- «كيف كنت تصل للفتايات ؟؟؟»

- «لقد تعلمت ذلك الدرس منك ولكني استخدمته للأسباب الخاطئة، فقد زرعت العديد من الأعين في تلك القرية التي سمعت أنها تحتوي على العديد من المتمردات على التقاليد والأعراف كما أنه يوجد العديد من السائحات كذلك، بل وأحيانًا كنت فقط انتظر فتايات هم بنفسهم من أرسلوا لي صورهم»

عقد فرات بين حاجبيه باستفهام ،،

- «ومن هم ؟»

- «ليتني أعرف»

- «ولماذا لم يقوموا بتلك المهمة بنفسهم عوضًا عن استخدامك ؟»

- «صدقني لا أعرف شئ، إنهم بجنسيات مختلفة، بحق الله أنا حتى لا أعرف كيف وصلوا لكل تلك المعلومات عني كما نارين»

قال جملته الأخيرة بصراخ مما جعل فرات يعتصر عينيه بغضب وكل خلية في جسده المغطى بالكدمات تتوسله أن يحل وثاقه وينهال عليه ضربًا حتى يفقد الوعي، ولكن سؤال واحد التمع برأسه بغتة دون سابق إنذار، هل لو كانت ريماس هي المهددة كان ليفعل بالمثل؟ لا بالطبع لا ولكنه لم يكن ليتركها فريسة لقتلة لا يعرفون سوى لغة الدماء .... ماذا لو أنه لا سبيل آخر لديه؟ ، هو لا يعلم ولا يريد حتى التخيل.

- «والرسالة التي تركتها ؟»

- «لقد طلبوها مني وأرادوها أن تكتبها بخط يدها حتى تلتصق بها التهمة إذا ما كشف أمري... هذا ما أخبرني به محادثي الغامض»

- «وكيف جعلتها تكتبها ؟»

هنا حرَّك كرم كتفيه لأعلى وهو يقول ببساطة لم تخفي المرارة التي تقطر من كلماته ،،،،

- «أخبرتها أن هناك فتاة إيطالية تطاردني وأريد التخلص منها بإرسال تلك الرسالة»

كيف لم ينتبه لكونها لم تفكر حتى في أخذ ملابسها وهو يعلم بقدر عشقها لممتلكاتها الخاصة، لقد أعماه الغضب عن الحقيقة، تمامًا كما أعمته الصداقة عن غدر ذلك القابع أمامه، لقد وثق به كما باريش الذي يعرفه كراحة يده، مما جعله يطلب منهما معاونته على تهريب الفتايات إلى أسطنبول حتى يتسنى له رعايتهم وحمايتهم من مصير يشبه مصير شقيقته الراحلة.

- «ماذا عن الكارت الخاص بي، كيف وصل ليد رجالهم ؟»

- «أنا لم أعطِ الكارت الخاص بك ل ...»

ثم قطع حديثة وقد توسعتا عيناه بإدراك ،،،

- «لقد طلبت مني إحدى الفتايات رقم الهاتف الخاص بي ولكي لا تشعر بالارتياب منحتها الكارت الوحيد الموجود في حافظتي، يبدو أنهم قد أخذوه منها في مرحلة ما»

- «وماذا عن جهاز التعقب، كيف علمت بأمره ؟»

- «أي جهاز تعقب !!»

نظرة الذهول البادية على ملامحه لا تعني سوى أنه بالفعل لا يعلم شئ بخصوص ذلك الجهاز، ولكن كيف ؟ كاد أن يسأله ولكن صوت طلق ناري شق السكون من حولهم فجأة جعله يتوقف عن الحديث واسم واحد لا غير يلتمع برأسه قبل أن تنطقه شفتاه

- «ريماس»

***

الفصل العاشر والأخير

لم تشعر بالغرابة فور وصولها للمكان الذي أشار إليه جهاز التعقب الخاص بها، منطقة نائية، متطرفة نوعًا ما، وتحتوي على العديد من المخازن المهجورة، وسط ما يشبه الغابة الواسعة، مكان مثالي للقيام بالأعمال الخارجة على القانون ... ولكن أين هو ؟ ، توقفت بسيارة فرات على بعد كبير نسبيًا من المخازن، موارية لها خلف مجموعة متشابكة من الأشجار وهي تتحرك بسرعة وخفة رغم الأسلحة التي تلف بيها جسدها في أماكن متفرقة من ملابسها المريحة والتي تمثلت في بنطال ضيق أسود اللون تعلوه كنزة بنفس اللون ملتصقة بجسدها كي لا تعوق حركتها، تتنقل من خلف شجرة لأخرى وقد أشهرت أحد أسلحتها رافعة له لمستوى وجهها، عيناها تدوران بحرص في المكان من حولها، تتقدم بخطوات سريعة ورشيقة كالفراشة، عندما أصبحت المخازن على مسافة معقولة فتحت هاتفها لتحدد مكان فرات وهي تنقل بصرها بين المكان المشار

اليه وبين المشهد أمامها، وضعت هاتفها مجددًا في جيب سروالها الخلفي ثم ركضت بكامل سرعتها نحو المخزن المنشود، استندت على أحد جدرانه ثم أطلت برأسها من مخبئها ، عندما اطمأنت لعدم ملاحظة أحد لها، تحركت بحذر لخارج مخبئها وهي تقترب بخطوات بطيئة من باب المخزن المغلق، فتحت شق بسيط فقط من باب المخزن لتستطيع استطلاع الوضع بالداخل، سيارتان كبيرتان ومتماثلتان باللون الأسود تجاورهما سيارة ربما رأتها من قبل ولكن ما تعلمه يقينًا انها وبالتأكيد ليست سيارة كاميلا، اربعة رجال ضخام الهيئة يجلسون بأريحية، يتجاذبون أطراف الحديث على ما يبدو، وضعت يدها الحرة بداخل حزام سلاحها الذي يعلو إحدى ركبتيها ثم دفعت الباب بعنف لينفتح على مصرعيه وقبل أن يعي أحدهم ما يحدث كانت قد صوبت سلاحها نحو رأس الأول فالثاني، دون أن تترك لهم فرصة لتدارك صدمتهم، أسرع أحدهم بالاختباء خلف إحدى السيارات وهو يصرخ نحو الأخير الذي سحب مسدسه هو الآخر وبدأ في إطلاق النيران، ركضت بسرعة لتختبئ خلف أحد الأعمدة وهي تخرج بين الفينة والأخرى لتطلق النيران ثم تعود لمخبئها من جديد، بقعة حمراء اعتلت خافقها جعلتها تشتم وهي تتحرك بسرعة لتختبئ خلف مجموعة من الصفائح المعدنية الضخمة ،،،

- «قناص !! هل يمزحون ؟»

سحبت عدة أنفاس وهي تحاول تهدئة نفسها ولكنها عندما خرجت من مخبأها فوجئت بأحدهم على بعد خطوات منها وهو يطلق الرصاص، استطاعت تفادي رصاصته في اللحظة الأخيرة لتصوب رصاصتها مباشرة في موضع قلبه، تحركت بسرعة لتتوارى من جديد خلف أحد الأعمدة وبمجرد التفاتها اخترقت إحدى الرصاصات جانب العامود الذي ابتعدت عنه للتو، لقد كادت أن تصيبها لولا أن حفظها الله، بحذر وبطء اقتربت من الجانب الآخر من العامود لتحاول البحث عن ذلك اللعين، وبسبب انخفاض رأسها والسيارة التي كانت تحول دون ملاحظته لها حددت موقعه، يقف متأهبًا في الدور العلوي المقابل لمكانها وهو يضيق عينيه في الجزء الخاص بتحديد الهدف من بندقيته، رفعت يدها وهي تضيق عينيها بدورها محاولة التركيز على هدفها ثم أطلقت الرصاص، ربما لا تمتلك بندقية قنص كخاصته ولكنها ماهرة في التصويب من مسافات بعيدة، صوت صرخته مصحوبًا بارتطام سلاحه على الأرض من ذلك الارتفاع جعلها تعقد بين حاجبيها من جديد وهي توجه رصاصتها التالية نحو قدمه اليمنى، ترنح في وقفته وهو يصرخ بينما اختفى رابع المجموعة التي قابلتها فور دلوفها فجأة عن الأنظار، مد يده لداخل سترته ليخرج سلاحًا آخر ربما ولكنها عاجلته بطلقة اخترقت ذراعه

الآخر وهي تخرج عن مخبأها مصوبة أحد سلاحيها في اتجاهه وبعينيها أخذت تدور في المكان من حولها، توقفت فجأة على أعقابها عندما طالعت الرابع وهو يخرج من أحد الجوانب محتضناً لكتف فرات بينما يصوب سلاحه نحو رأسه وهو يقول بإنجليزية سليمة ،،،

- «ألقى السلاح»

بحركة سريعة من عينيها قيَّمت الموقف ثم تقدَّمت للأمام عدة خطوات، زمجرة تهديد ندت عن الرجل وهو يضغط فوهة سلاحه بقوة أكبر على رأس فرات الذي عقدا كفيه خلف ظهره بإحكام، رفعت كفيها باستسلام وهي تميل على الأرض بكلا كفيها وعيناها لا تحيدان عن ذلك الرجل الممسك بفرات والذي يتبادل الآن النظرات الساخرة مع الآخر العاجز تماماً عن الحراك، تركت سلاحيها على الأرض ثم بحركة بهلوانية مباغتة تشقلبت للأمام ليجدها الرجل فجأة في مواجهته، تبتسم بتسلية وهي تميل برأسها للجانب، وعلى قدر غضب فرات من قدومها وحيدة دون دعم وتعريض نفسها للخطر إلا أنه لم يستطيع أن يخفي لمعة الإعجاب بالجانب الجديد الذي يراه الآن من شخصيتها، والذي للغرابة ضاعف من حبه لها، أن كان ذلك ممكناً من الأساس، اتسعت عينيه وهو يحاول تخليص يديه من أسرهما بلا جدوى عندما التقط بطرف عينه سبابة الرجل وقد بدأت بالضغط على الزناد.

وقبل أن تنطلق الرصاصة كانت ريماس قد تحرَّكت بسرعة وهي ترفع يده الممسكة للسلاح لتندفع الطلقة في الهواء، مستغلة صدمة الرجل سحبت السلاح من بين أنامله بسهولة ثم دفعت فرات عنه، تراجعت للخلف عدة خطوات وهي تلقي بسلاحه أمامه على الأرض ثم أشارت له بسبابتها ليقترب، باستهانة واضحة وابتسامة ساخرة تتراقص على جانب شفتيها وكأنها تستمتع بإهانته، استحالتها عيناه للون الأحمر الدامي وهو على ما يبدو يستنكر فكرة هزيمته بواسطة أنثى ..... تماماً كما أرادت، اندفع نحوها مكورًا قبضتيه، متجاهلًا فرات كما توقعت لتندفع بدورها نحوه وهي تعاجله بلكمة قوية في أنفه جعلته يترنح للخلف وهو يشعر بدوار عنيف، ولكنه رغم ذلك تماسك وهو يندفع نحوها وقبل أن يمسك بها انحنت فجأة ليتخطاها ثم التفت على أعقابها وهي تدفعه بقدمها بقوة في ظهره مما جعل وزنه يختل ويسقط على وجهه مفترشًا للأرض، اندفعت في تلك اللحظة نحوه من جديد لتجلس فوق ظهره وهي تسحب الأساور الحديدية من سترتها لتكبل كلا يديه ثم وقفت عنه وهي تنفض كفيها ...

غمزت فرات خفية ثم فركت كفيها بحماس وهي تركض سريعًا وبقفزة واحدة وقفت فوق اقرب السيارات للارتفاع الذي يفترش القناص أرضه، ينزف بغزارة وقد أعجزته عن الحراك، وثبة أخرى كانت قد تعلقت في الأعمده الحديدية ثم وأمام نظرات فرات

الذاهلة تأرجحت بقوة لتهبط أخيرًا بثبات في مواجهة القناص، ابتسمت لخوفه بتشفي ثم وبحركة واحدة سحبت الوشاح المتوسد عنقها وهي تلتف حوله لتجذب ذراعيه بقوة للخلف لتعقد الوشاح حولهما وعندها فقط سمعت صوت سارينة الشرطة الشهيرة لتبتسم بسخرية وهي تقول ،،،،

- «دائمًا ما تتأخرون ولكنكم أبدًا لا تنسون زفة العروس»

***

خرجت من مكتب النائب بعد أن استقصت عن وضع كرم في القضية والذي رغم علمها به سلفًا إلا أنها لم تستطيع أن تمضي وكأن الأمر لا يعنيها، ربما هي لم تعاشره بما يكفي لتتفاعل معه عاطفيًا ولكن قصة حبه اليائس لنارين كانت أكثر من كافية بالنسبة لها، ربما هو مخطئ وتسبب في أيذاء نفسه كما العديد من الأبرياء إلا أن الجهل ليس بعذر كاف قد يمحي ذنبه، وكما قال سيدنا على ابن ابي طالب (لو سكت الجاهل ما اختلف الناس)، ولكن ماذا عن جهل صاحبه الفضول، فضول قاد صاحبه للتهلكة وقد هلك بفضله الكثيرين، سمعت صوت أحدهم يناديها فالتفتت لترى السيد أحمد يقف بكامل هيبته وهو يشير لها بيده لتقترب، عقدت بين حاجبيها باستفسار بقى معلقًا حتى تبعته لداخل غرفته وحينها قال بعملية ،،،،

- «في الغد ستكون أوراق طلاقك وفرات في المحكمة، ولا تقلقي من الجلسة الأولى سينتهي كل شئ»

***

أخذ يتحرك جيئة وذهابًا في بهو منزله، لا يعلم ما الذي بيده حتى يفعله، كبريائه اللعين يكبله وقد نثر كل وروده تحت قدميها دون فائدة ترجى، أحقًا انتهى كل شئ ؟ هل ستغادره بتلك البساطة، هكذا دون أن تحاول أن تجد خيطًا ولو رفيعًا يربطها به، هل كان حبها له بتلك الهشاشة، أم أنه فقط وهم التمني، هل انتهت ريماس من عالمه ... لقد قذفته بتصريح السيد أحمد حول طلاقهما قبل أن تختفي بداخل غرفتها بنية تحضير حقيبتها، هل سترحل، وان رحلت هل ستعود، وان عادت هل ستبقى، عقله يكاد ينفجر من شدة التفكير، يريد أن يستوقفها، ويخشى صدمة رد فعلها التي آلمته من قبل، وماذا بعد !! هل سيقف مكتوف الأيدي يطالع ظهرها المنصرف برأس منكس وقلب يرتشف وحيدًا من كأس عذابه ؟

صوت فتحها لباب غرفتها جعله يقف كالوتر، ضغطة واحدة فقط و سينشطر إلى نصفين كل منهما ينشد اتجاه يخالف شريكه، تمامًا كما تريد أن تفعل به الآن، تريد أن تسلبه بجحود نصفه الآخر، مكمله الذي عاش سنوات عمره السابقة غير مكتملًا بدونه، حبس أنفاسه أخيرًا وهو يراها ترتقي السلم نزولًا، بهيأة قاتلة لم يراها عليها

من قبل، فستان ناري بلون خصلات شعرها الثائر كشخصها، عيناها تتوهجان كحبات الزمرد التي اختزنت الضوء طويلًا حتى أطلقت وهجها على شكل سهام صوبتها بمهارة نحو خافقه، جسدها البض كريمي البشرة يستفزه لملامسته، شعور حارق بالغيرة عاجله وهو يتخيل نظرات الرجال التي حتمًا ستلهث خلف جمال نادر كجمالها، حتمًا ستكون نهايته على يد تلك المرأة، لكم من السنوات قبل أن يفقد الأمل في العثور على نصفه الضائع ظل يتساءل عن شعوره حال اقترابها، في قصائد غزل يتلوها على مسامعها حتى تضحى بين ذراعيه كغريق يأبى النجاة، في لمسة تفقدها صوابها فتعلن بذلك حتفه ومنتهاه، في همسه تداعب أذنها فتستكين بقرب خافق سأل الهوى فلبى نداه، في نظرة عاشق باح بخفقات قلبه قبل عيناه.

- «هل ستظل كالأبله تحدق بي دون أن تثني على فتنتي وجمالي ؟»

قالت جملتها بغنج وهي تتمايل بينما تدور حول نفسها أمام عيناه الجائعتان، ورغم شعورها بنوع من الحرج إلا أنها قد حسمت أمرها أخيرًا بعد صراع حسمه القلب لصالح مالكه، لقد أرادت أن تغيظه للمرة الأخيرة قبل أن تطوي تلك الصفحة من حياتهما وللأبد، لذا أخبرته بما قاله النائب مغفلة الجزء الذي أجابت به عليه بالرفض وهي تلتفت لتغادر مكتبه، عازمة، حالمة، تتلهف لرؤية

ذلك الهدف الذي أتت لاصطياده فصادها، تحمحم ليجلي حنجرته وهو يقول بنبرة تنضح غيرة ،،،،

- «إلى أين ؟»

توقفت عن الدوران لتقف أمامه تمامًا بينما تقترب مع كل كلمة تنطقها شفتيها ،،،،

- «إلى اللا مكان، وكل الأماكن، إلى أرض لم تطأها يومًا قدماي ولكنها موطني وأماني، إلى حضن زلزل الأرض من تحتي ولكنه اجتاح تخبطي به و هذياني، إلى عالم تركت فيه من خلفي الورى لألحق بفارسي وسجّاني، وها أنا الآن بين يديه وقد فقدت رشدي وتراجع صاغرًا عنفواني»

أنهت كلماتها وهي ترتفع على أطراف أصابعها لتطبع قبلة كرفرفة أجنحة الفراشات على وجنته ثم همست بجوار أذنه بطريقة خنقتها المشاعر هددت بإفقاده البقية المتبقية من تعقله ،،،،

- «أحبك فرات، ربما تأخر اعترافي، وأعترف أن ذلك قد أرهق كلانا، ولكن لحظة الفقد هي أكثر لحظات الإنسان واقعية، حينما يصفعنا الإدراك بقوة فيرضخ العقل لإرادة القلب الذي كان عازفًا من قبل عن الصبابة والولع»

تأوه بحرقة وهو يعتصرها على صدره، يريد أن يزرعها بين ضلوعه، ويرويها بسيل من المشاعر حتى تزهر بين يديه، يريد أن يعلمها أبجديات العشق والهيام فتضحى تلميذته وملهمته، ربما ظن لسنوات أن حظه قد ضن عليه برشفة من كأس العاشقين ولكن شربة واحدة من رحيق شفتيها ستشبع ظمئًا دام لعمر فاق سنوات عمره، أبعدها قليلًا ولكنه لم يفلتها وهو يلتقم شفتيها في قبلة أودعها فيها كل المشاعر التي تأججت بداخلة واختلطت عليه الآن، لحظات ذابت أحرف العشق وسط بركان ثائر فاض على كل ما حوله بسعير لطالما خمد بداخله.

***

تمددت على جانبها بجواره في الفراش وهي تضع كفها المضمومة أسفل وجنتها، تتأمله بهيام ويتأملها في المقابل بلمعة عين العاشق، لا يصدق أن حلمه قد تحقق أخيرًا وقد أصبحت له، امرأته، معشوقته، حبيبته، وزوجته، عيناه تجوبان ملامحها بتمهل، عاجز عن وصف ما يعتمل بصدره من كلمات، عاجز لم يقف يومًا عاجزًا عن التعبير وها هو يحاول أن يبحث في عقله عن كلمات منمقة يقولها دون جدوى، إلا من كلمة واحدة، قليلة الأحرف، زاخرة بالمعاني،،،،

- «أحبكِ ريماس»

- «وأنا أيضًا أحبك فرات»

ثم مالت عليه طابعة لقبلة على جانب ثغره قبل أن تبتعد سريعًا عندما حاول أن يأسرها بين ذراعيه وهي تقول ،،،

- «أريد أن أدعو سديم لقضاء العطلة»

ثم غمزته وهي تستطرد ،،،،

- «ربما وجدت هي الأخرى نصفها التائه»

تراجع رأسه للخلف وهو يضحك بقوة ولكن ضحكته قوطعت فجأة عندما علا رنين هاتفها، سب فرات من بين أنفاسه ذلك المتصل عديم الذوق الذي يتصل بها في مثل تلك الساعة المتأخرة من الليل، الرنين يتواصل وكلاهما ينظر للآخر دون كلمات، اقترب منها وهن يقول هامسًا أمام شفتيها ،،،،

- «دعيه»

لم تعارضه وهي تقترب منه بدورها، ولكنها ابتعدت مجفلة عندما علا رنين هاتفها من جديد.

- «حسنًا ربما الأمر هام فرات سأجيب»

تأفف وهو يبتعد عنها على مضض مفسحًا لها المجال لتميل على الجانب الآخر من الفراش، عقدت بين حاجبيها عندما طالعت رقم النائب يضئ شاشة هاتفها لتفتح الخط سريعًا وهي تقول ،،،

- «مرحبًا سيد أ .....»

توقفت عن الحديث وهي تستمع للطرف الآخر بصدمة للحظات تبعتها بابعاد الهاتف عن أذنها وهي ترمق فرات الذي اعتدل جالسًا على الفراش بجوارها متأهبًا ليسمعها تقول بذهول ،،،،

- «لقد انتحرا قبل أن يدليا بأية تفاصيل عن رب عملهما»

وقبل أن يجيب فرات سمعت صوت نغمة الرسائل على هاتفها، فتحته بسرعة لتعقد بين حاجبيها وهي تقرأ الرسالة الواردة من رقم غير معلوم.

(افتحي حاسوبك الآن)

تبادلت وفرات الذي قرأ الرسالة بصوت مرتفع النظرات الوجلة، ثم ما لبث أن انتفض عن الفراش بسرعة ليحضر جهاز الحاسوب الخاص بها ... لحظات وعاد حاملًا له أمام ملامحها المبهوتة.

فتح فرات الجهاز ولا يعلم ما الذي من المفروض أن يبحث عنه، فجأة بدأت العديد من الصفحات تفتح تباعًا على الشاشة أمام نظراتهما الذاهلة قبل أن تبدأ الصور في التتابع أمامهما، صورتها وهي أمام الملهى الليلي، صورتها وهي مستندة بظهرها على صدر فرات مغمضة العينين في نافذة الشقة المستأجرة، صورتها في موقع الحادث ثم صورتها وهي تفتح الورقة المطوية التي تحتوي على جهاز التتبع من سيارة كاميلا.

ثم وقبل أن تبتلع صدمتها بدأت الشاشة في عرض تسجيل مصوَّرًا لغرفة حمراء مقبضة وفي مواجهتهم تمامًا وقف رجل مقنع، متشح بالسواد إلا من ذراعيه العضليين وقد كستهما الوشوم، يمسك في يده منشارًا كهربيًا ملوَّحًا به أمام الكاميرا، صوت صرخات استغاثة أنثوية تأتي من مكان ما في الغرفة إلا أن هيئته الضخمة تحول دون رؤية مصدره، تحرك موليًا ظهره للشاشة لتشهق ريماس واضعة كلا يديها على فمها بينما شتم فرات بغضب أعمى من بين أنفاسه وهو يتذكر حديث كرم عن تلك الغرفة الحمراء، من خلف الرجل كانت هناك كاميلا، مكبلة الأيدي والأرجل على أحد المقاعد، تبكي وهي تحاول تخليص نفسها من أسرها دون جدوى، تطالع بعينان متسعتان ورعب جلي تقدم الرجل المتمهل منها ...

التفتت ريماس نحو فرات الجالس بجوارها يحدق في الشاشة أمامه وهو يطحن أسنانه بغضب، ترمقه بإشفاق فبرغم كل شئ تلك الفتاة كانت جزء من حياته لسنوات، عادت بوجهها نحو الشاشة لتجد الرجل قد قرب المنشار الكهربائي من وجه كاميلا وهو يلتفت من فوق كتفه لمواجهة الكاميرا ثم أومأ إيجابًا، توقعت ريماس القادم والذي شاهدته من قبل في أحد الأفلام الأجنبية، علامات الاستياء تعلو ملامحها وقد بدأت دموعها في الانسياب على وجنتيها، أشاحت بوجهها وهي تعتصر ذراع فرات بينما صوت صرخات كاميلا الهيستيرية تتردد في الغرفة من حولهما، وعندها أخذ فرات يحاول بإصرار غاضب إغلاق التسجيل دون جدوى، الوقت يمضي والصراخ يتعالى حتى انتهى بسحب فرات للحاسوب أخيرًا وإلقائه بقوة ليرتطم بالحائط.

شدّدت ريماس من قبضتها على ذراعه وهي تجهش بالبكاء، برغم كل ما تدربت عليه طوال سنوات عمرها إلا أنها لم تواجه يومًا سادية مريضة كتلك من قبل، ربما كانت تغار من كاميلا في مرحلة ما إلا أنها الآن لا تستطيع أن تشعر نحوها سوى بالإشفاق.

صوت النغمة الخاصة بقدوم رسالة نصية على هاتفها جعلتها تقفز بهلع وهي تُعرض عن مطالعة هاتفها، ولكن فرات تجاسر رغم رعبه الداخلي الذي يسري بأوصاله الآن وهو يمد يده ساحبًا

للهاتف ليفتحه، لتظهر له صورة لفتاة يراها للمرة الأولى، عقد بين حاجبيه وهو يقرب الهاتف من وجه ريماس التي عتصرت عينيها خوفًا من القادم إلا أنها فتحتها رغمًا عنها عندما قال فرات بنفاذ صبر ،،،

- «هيا ريماس حياة تلك المسكينة على المحك»

يا الله نارين !! هل سينتقموا من كرم بإيذائها ؟ ولكن الصورة التي قابلتها بمجرد أن نظرت في شاشة الهاتف لم تكن لنارين وإنما لِأخرى، أخرى اشتاقتها بقوة، أخرى طلبت منه للتو أن تبقى برفقتهم ولو لبعض الوقت كي تخمد شوقها إليها

- «سديم»

اسم صديقتها خرج من بين شفتيها المرتجفتين بصرخة ملتاعة وهي تسحب الهاتف من بين أنامل زوجها لتفاجأ بالشاشة التي أصبحت سوداء تمامًا للحظة، لحظة عايشت فيها الموت البطئ كما لم تعايشه من قبل، ظهرت فجأة أمامهما رسالة، ليست على برنامج رسائل، ليست حتى برسالة هاتفية، ولكنها رسالة على شاشة هاتفها التي أصبحت مجرد شاشة للعرض

(هل أنتِ جاهزة ريماس ؟)

ثم انمحت الكلمات فجأة وبدأت أحرف جديدة تظهر على الشاشة أمامهما تباعًا لتنتهي بجملة جمدت الدماء في عروقهما.

(فلتبدأ اللعبة)

***

تمت بحمد الله

الكنزي
ALKANZY